

علم مائدة الثقافة الإسلامية



تأليف

الشيخ عبد الحميد كشك



علم مائدة الثقافة الإسلامية

تأليف

الشيخ عبد الحميد كشك

علي مائدة الشقافة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين . خلق فسوى وقدر فهدى . تنزهه عن الشريك ذاته وتقدسست عن مشابيهة الأغيار صفاته . بالبر معروف وبالإحسان موصوف . معروف بلا غاية وموصوف بلا نهاية . وأشهد أن لاإله إلا الله . يحيى العظام وهى رميم . وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم . عنت الوجوه لعظم ملكوته . وخشعت الأصوات لجلال جبروته . هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين . وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبیبنا محمدا رسول الله . أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ورضى لنا الإسلام ديناً . وإذا كان الله قد أكمل دينه فدينه لاينقص أبداً . وإذا كان قد أتم النعمة . فنعمة الله ليس بعدها نعمة وإذا كان قد رضى لنا الإسلام ديناً ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله :

صلى عليك ملائكة الرحمن وسرى الضياء بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مزوداً بحمسى الإله وراية القرآن

صلى عليك الله يا علم الهدى ماهيت التسائم ومناحت على الأيك الحمائم . أما بعد فياحماة الإسلام وياحراس العقيدة : فهذا كتاب اشتمل على فنون من المختارات الإسلامية . تلمع فى هذا الكتاب روح العقيدة وتنشق فيه نسمات العبادة ، وتشتم منه أريج السلوك .

فإذا ما قرأته وعملت بما فيه خلت نفسك فى روضة داتية القطوف

باسقة الأغصان طيبة الجنى . « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » . « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » .

نعم ياربنا . سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

إن في الاستجابة لك ولرسولك حياة للموات ونورا يبدد غياهب الظلمات . فأنت القائل وقولك الحق : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا . وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض . ألا إلى الله تصير الأمور » .

إن في الاستجابة لك ولرسولك طاعة . وجزاء الطاعة الرضا والجنة : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » .

فيا أيها المسلم :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
يا خادما الجسم كم تشقى لخدمته أطلب الربح مما فيه خسران
امدد يديك بسحب الله معتصما فإنسه الركن إن خانتك أركان

أسألك اللهم أن تبارك هذا العمل وأن تجعله خالصا لوجهك الكريم
وتنفع به فأنت المستعان وعليك التكلان ، وصلى الله وسلم على خير
الأنام .

الفني في القناعة (١)

صدق الله العظيم إذ يقول : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا جهنم يصلوها مذبذوبا مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محذورا . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا . »

عندما نطالع آيات الله ، ونصافح كلماته في كتابه ونتعبد بتلاوته نطالع دروسا ونفوسا . نعم : ما أجمل القرآن إذا عرض الدروس على النفوس واستخلص العواقب واستنتج العبر ، إن الكلام الوحيد الذي نلتبس فيه الحكمة البالغة والعبرة النافذة التي لا تجد لها تفسيراً أعظم من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستمع إلى قوله صلوات الله وسلامه عليه في هذا المجال الذي نحن بصدد « أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » . وأمامنا في هذا المجال عدة مواقف في القرآن الكريم نتبين منها عبرة الحياة ونستخلص فيها نتائج الدنيا إذا اخترقت مجال اليبدين إلى مجال القلب وتربت فيه ، هنا تكون الهاوية وما أدراك ما هي نار حامية .

⊙ الدرس الأول :

ما ذكره القرآن الكريم عن هذا الحبر الكبير الذي عرف في بني

اسرائيل بعلمه الغزير ، والذي قضى أيامه ولياليه بجوار كريم الله موسى حتى جاء اليوم الذي أرسله فيه تبنى الله موسى مبعوثا ليبلغ أمر الله إلى أهل مسدين ، وذهب إليهم بقلب نقى تقى ، ووعظهم واستمعوا له بأذانهم ؛ ولسان قلوبهم يقول : سمعنا وعصينا ، بدلا من أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وواصل الحبر مواعظه وإرشاداته وواصلوه هم خداعه وإغراءه بالمادة وعرض زينة الحياة الدنيا عليه حتى سألوه يوما : كم يعطيك موسى لقاء ما تبذل من جهد فى تبليغ هذه الرسالة . قال لهم : إنما أقصد الأجر من الله . قالوا : فإن أموالنا كثيرة ولن نبخل بها عنك فى سبيل ألا نسمع منك شيئا حتى لا تفسد علينا بيعنا وشراءنا . . . وفكر العالم كثيرا تردى فى صراع عنيف حتى وصل مجال انعدام الوزن عندما سأل نفسه : موسى أم المال ؟ الله أم الشيطان ؛ الدنيا أم الآخرة ؟ وأخيرا . . هداه هواه إلى اختيار المال والشيطان والدنيا ، فزلت قدمه بعد ثبوتها ، وأصبح فى الأرض حيران استهوته الشياطين فهوى بعد أن اتبع الهوى ، تمرغ فى طين الأرض بعد ما تربيع على قبة الفلك . . إن هذا العالم « بلعام ابن باعوارا » عالم بنى إسرائيل الذى قص الله علينا قصته فى سورة الأعراف حيث قال : « واتل عليهم نبأ الذى أتيناہ آتیناہ آیاتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون » .

فتأمل معنى ما احتوى هذا المشهد القرآنى من أسرار وعجائب « إنه نبأ » . . ولا يستعمل القرآن لفظ النبأ إلا إذا كان المقام خطيرا والخبر

عظيما جليلا ، فما بالك برجل آتاه الله آياته . وآيات الله يكفيها شرفا
أنها نسبت إلى الله وأضيفت إليه ، لتذهب النفس كل مذهب في تفسيرها
وتفصيلها وبيانها ، فقد اشتملت على الحكم الالهية والمواعظ والإرشادات
والتوجيهات الربانية ، فماذا حدث هل تركها ؟ هل ابتعد عنها ؟ كلا
لو كان الأمر كذلك لجاز أن يعود إليها بعد زمان طال أو قصر ، لكن
القرآن أعطى معنى يدل على أن العود بالنسبة إليه من المحال . قال
تعالى : (فانسئخ منها) فما معنى الانسئاخ ؟ إن السئخ في الأصل
كشط الجلد عن اللحم ، وهويطينا أن لاعودة ، فكما أن عودة الجلد إلى
اللحم بعد سلخه أمر محال . كذلك عودة هذا الذي أظلم قلبه بحب
الدنيا عودته إلى آيات الله أمر محال ، لقد كانت الآيات بالنسبة إليه وقاية
وعناية له من غضب الله ، كما أن الجلد وقاية وعناية باللحم ، فلما انسئخ
من الآيات أصبح عرضه لغضب الله .

لقد كانت الآيات تزيينه وتجمله ، فلما انسئخ منها أصبح مشوها
دميم المنظر قميئا ، فماذا كانت النهاية ؟ كانت النهاية (فكان من
الغاوين) ، لماذا لم يكن من المغوين إنما كان من الغاوين ؟ لأنه أصبح
أستأذا في الغواية دليل ذلك قوله تعالى (فأتبعه الشيطان) ولم يقل
فتبع الشيطان أي أنه أصبح بعد الضلال والانسئاخ من الآيات متبوعا
فصار الشيطان له تابعا . . وهذا يذكرنا بقول أحد الحكماء :

وكننت امرءاً من جند إبليس فارتقى

بى الحال حتى صار إبليس من جندى

ثم ماذا ؟ قال الله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها فمشيئة الله لا

يعجزها شيء ، لكن الله لا يجبر أحدا على فعل شيء ، فماذا حدث من (بلعام) ؟ قال تعالى : « ولكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه » وعبر القرآن بلفظ أخذ ليعطينا معنيين وهما : الميل والإطمئنان إلى ما مال إليه فهو عندما أخذ إلى الأرض مال إليها مطمئنا بها . وبدلا من أن يقول القرآن أخذ إلى الدنيا قال : أخذ إلى الأرض . . وهذا هو قدر الدنيا وقدر من مال إليها فهو في الهاوية وفي الحضيض ، فما الدنيا إلا أرض تدمر من مال إليها مطمئنا بها قلبه : إذا حلت أوجلت ، وإذا كست أو كست ، وإذا جلت أوجلت وإذا أينعت نعت ، وكم من ملك رفعت له علامات . فلما علامات . نعم إنه اتبع هواه ، وما الهوى إلا نوازع النفس إلى مسالك الشر ، وما أجمل هذا التحذير من الله عندما يقول : ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) . . وما قاله أحد الحكماء جدير بالتأمل : من عرف الهوى فقد هوى . . وما قاله آخر « نون الهوان من الهوى مخوفة فإذا هويت فقد لقيت هوانا » .

❁ الدرس الثاني :

من دروس القرآن الكريم مع النفوس الشاردة يحدثنا الكتاب العزيز عن شخصية أخرى أخذ صاحبها إلى الأرض واتبع هواه بعد ما اقتحمت الدنيا قلبه فأظلم وأدلهم ومال وانتكس وفي أحوال الحياة ارتكس ، إنه « تعلبه بن حاطب » الذي قال الله فيه وأمثال ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما أتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعده وبما كانوا يكذبون ، ألم

يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب» .

يقول العلامة ابن كثير ، يقول الله تعالى : ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقن من ماله وليكونن من الصالحين ، فما وفى بما قاله ولا صدق فيما ادعى ، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن فى قلوبهم إلى يوم يلقوا الله عز وجل يوم القيامة ، عياذا بالله من ذلك ، وقد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصرى أن سبب نزول هذه الآية الكريمة فى ثعلبة بن حاطب الأنصارى الذى قسأل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقنى مالا . فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خيـر من كثير لاتطيقه ، ثم قال مرة أخرى فقال له الرسول : أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهباً وفضة لسارت : قال : والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق ثعلبة مالا . . فاتخذ غنما فتمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ماسواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فعل ثعلبة ؟ » فقالوا يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال : ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة . . ولما أنزل الله جل ثناؤه « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » ولما نزلت فرائض الصدقة بعث رسول الله صلى الله عليه

وسلم رجلين على الصدقة من المسلمين : رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما : مرا بثلعبية وبقلان . (رجل من بنى سليم) - فحذا صدقاتهما . . . فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى فانطلقا وسمع بهما ألسلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها ، فلما رأياها قالا : ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك فقال : بلى فخذوها فإن نفسى بذلك طيبة وإنما هى له . فأخذها منه ومرا على الناس فأخذوا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أريانى كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأهما قال « يا ويح ثعلبة » قبل أن يكلمهما ودعا ألسلمى بالبركة فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع ألسلمى فأنزل الله عز وجل . . . ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله : لنصدقن - الآيات . وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا . . فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب ، فقال له الرسول : هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى ، فرجع إلى منزله ولم يقبل منه شيئا حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه حين استخلف فرفض أيضا أبو بكر أن يقبل ما رفضه الرسول ولما قبض أبو بكر وولى عمر أتاه أيضا فرفضها هو الآخر وكذلك عثمان رضى الله عنه وهلك ثعلبة فى

خلافه عثمان .

قوله تعالى : « بما أخلفوا الله ما وعده وما كانوا يكذبون أى أعقبهم النفاق فى قلوبهم بسبب إخلافهم الوعد وكذبهم كما فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » .

ما شأن هؤلاء وما صفاتهم ، وما حالهم الذين اتبعوا هو أهم ؟ إنهم فى تعب دائم وعذاب نفس لأنهم أثروا المادة على رضوان الله . قال تعالى : « فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » . إن تشبيه حالهم بالكلب فى أخس حالاته لافى أمانته وحراسته إنما فى تعب وشقاءه ، فهو دائما يلهث أى يخرج لسانه ويتنفس بصعوبة فى كل حالاته سواء زجرته وقسوت عليه أم أرحته وعطفت عليه . . . كذلك هؤلاء الذين اتبعوا الهوى . إذالم تعطهم الدنيا طلبوها وخطبوا ودها وإذا أعطتهم طلبوا المزيد منها ولو كان لأحدهم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوفه إلا التراب . أى أن حال هؤلاء القوم بئس الحال وما ظلمهم الله لأنه بين وأرشد فكان منه الإيجاد والإمداد والإرشاد ولكنهم قابلوا ذلك كله بالجحود والإنكار والعثور والنفور ، ونسوا أن الله تعالى يعلم السر وأخفى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب فإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموالا يصدقوا منها فإن الله أعلم بضمائرهم من أنفسهم لأنه تعالى علام الغيوب . . . » ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد »

الفني في القناعة (٢)

تكلّمنا في المقال السابق عن مثليين من الأمثلة التي صورها القرآن الكريم للصراع بين النفس والمال وسيطرة شهوة المال مما أدى بهما إلى الجحود والإنكار لآيات الله فضيعةا أنفسهما باتباع الهوى وكانا مما قال الله عنهم « ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون » .
والآن نتابع هذه الدروس التي ذكرها الله لنا عظة وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

❦ الدرس الثالث :

من هذه الدروس مع النفوس التي جرفها المال فأنحرفت ما جاء في سورة الكهف حيث قال تعالى : « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلما الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا ، وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكننا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا . ولولا إذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا . أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك

يربى أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من نون الله وما كان منتصرا
هناك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا » .

يقول العلامة ابن كثير : يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين
عن مجالس الضعفاء والمساكين من المسلمين واقتضوا عليهم بأموالهم
وأحسابهم فضرب لهم مثلا برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أى بستانين
من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدث فى جنباتهما وفى خلالهما الزروع
وكل من الأشجار والزروع مثمر . وكانتا فى غاية الجودة ولهذا قال :
« كلتا الجنتين أتت أكلها » أى أخرجت ثمرها ولم تظلم منه شيئا أى ولم
تنقص منه شيئا « وفجرنا خلالهما نهرا » أى والأنهار متفرقة فيها ههنا
وههنا « وكان له ثمر » قيل المراد به المال وقيل الثمار وهو أظهر ههنا .
فقال أى صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أى يجادله ويخاصمه
ويفتخر عليه ويترأس (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا أى أكثر خدما وحشما
وولداً قال قتادة تلك والله أبنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر . . » ودخل
جنته وهو ظالم لنفسه « أى بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد
« قال ما أظن أن تبديد هذه أبدا » . وذلك اغترار منه لما رأى فيها من
الزروع والأشجار والأنهار المطردة فى جوانبها وأرجائها ظن أنها تغنى
ولا تفرغ ولا تهلك وذلك لقلّة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة
الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ، ولهذا قال « وما أظن الساعة قائمة » أى
كائنة « ولئن رددت إلى ربى لأجسدن خيرا منها منقلبا » أى ولئن كان
معاد ورجعة إلى الله ليكونن لى هناك أحسن من هذا الحظ عند ربى ،
ولولا كرامتى عليه ما أعطانى هذا كما قالت الآية الأخرى : « ولئن
رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى » وقال : (أفرأيت الذى
كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً) أى فى الدار الآخرة تألى على الله عز

وجل ، وكان سبب نزولها في العاص ابن وائل . .

يقول تعالى مخبرا عما أجابه به صاحبه المؤمن وأعظاله وزاجرا
عما هو فيه من الكفر بالله والأغترار (أكفرت بالذي خلقك من تراب)
الآية .

وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وبدأ خلق
الإنسان من طين وهو آدم . . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين
. . ولهذا قال المؤمن : (لكننا هو الله ربى) أى لكن أنا لا أقول بمقالتك
بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية (ولا أشرك بربى أحدا) ثم قال "
ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك
مالا وولداً . هذا تحضيض وحث على ذلك أى هلا إذ أعجبتك حين
دخلتها ونظرت إليها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال
والولد مالم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله . وقد روى
الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا حول ولا
قوة إلا بالله » وقوله : « فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك » دليل
على يقينه بالله وأن الأيام دول بين الناس (ويرسل عليها) أى جنتك فى
الدنيا التى ظننت أنها لا تبديد ولا تفتنى (حسبانا من السماء) أى عذابا
من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا
قال (فتصبح صعيدا زلقا) أى بلقعا ترابا (أملس لا يثبت فيه قدم)
وقوله (أويصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الأرض يصعب
الاستفادة منه (فلن تستطيع له طلبا) وبالتالى لن تستطيع إرواء
جنتك لأن الماء أساس خضرتها ونضرتها . (وأحيط بثمره) وقع بهذا

الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسابان على جنته التي اغتر بها وألهته عن الله عز وجل . (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الأموال التي أذهبها عليها ويقول : (يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) ندم حيث لا ينفع الندم . (ولم تكن له فته ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا) لم تنفعه عشيرته وولده كما اقتخر بهم واستعزز ونسى الله فلا منقذ من عذاب الله . (هناك الولاية لله الحق) أى هناك الموالاة لله فكل مؤمن أو كافر يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب (هو خير ثوابا وخير عقبا) إن الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خيرا وعاقبتها حميدة رشيدة . أما في حالة تغلب هوى النفس وخضوعها لسيطرة المادة فلا يلومن الإنسان إلا نفسه .

❶ الدرس الرابع :

من دروس المال والنفوس يتمثل أمامنا في صورة رجل طغى وبغى عندما كثر ماله . فماذا فعل وكيف كانت عاقبته ؟ . إليك ما قاله القرآن الكريم " إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن دنوبهم المجرمون . فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا

العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون . فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وماكان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده . ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون . تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين . من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون . إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد . قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين . وماكنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين . ولا تدع مع الله إلها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون . " .

قال المفسرون : قال ابن عباس فى شرح كلام الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى) إن قارون كان ابن عم موسى وهكذا قال أكثر أهل العلم ولكنه نافق كما نافق السامرى وكان بنو إسرائيل يلقبونه قبل نفاقه بالمنور لحسن صورته وسلوكه وقوله تعالى (فبغى عليهم) وذلك عندما تمكن النفاق من قبله بغى وظلم وحاق وجار ، ونسى الله كما نسى قومه . وهنا فتحت الدنيا عليه وأخطر بلاء يصاب به ابن آدم أن يبتلى بتسليط الدنيا عليه « ياابن آدم إن لم ترض بما قسمت لك فلاسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية لا ينالك منها إلا ما قسمت له ولا أبالى » . قوله تعالى : (وأتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة) فيه كناية من كنايات القرآن

البديعة : فإذا كانت مفاتيح الكنوز لا يقوى على حملها الجماعات من الرجال الأقوياء الأشداء فما هو حجم تلك الكنوز نفسها ؟ مع العلم أنه قد ذكر أن هذه المفاتيح كان كل مفتاح منها لا يزيد على الإصبع . ومن هنا بدأ القوم الصالحون يوجهون إليه خمس نصائح إشفافا عليه وخوفا أن يموت من الأشقياء الذين لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وجاءت النصائح على الترتيب التالي :

١ - لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين .

٢ - وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة .

٣ - ولا تنس نصيبك من الدنيا .

٤ - وأحسن كما أحسن الله إليك .

٥ - ولا تبغ الفساد في الأرض .

ثم عقبوا على ذلك بقوله تعالى : إن الله لا يحب المفسدين . والفرح المنهى عنه كما قال مجاهد : الأشر والبطر أى الذى يدعوا صاحبه إلى الوقوع فيما يفضب الله وينسيه ذكره وشكره ويدخل فيه الاختيال والفخر كما قال تعالى : (إن الله لا يحب كل مختال فخور) . وقد كان سلمان الفارس رضى الله عنه يقول : عجبت لثلاثة وبكيت لثلاثة : عجبت لغافل وليس بمغفول عنه ، وعجبت لمؤمل فى الدنيا والموت يطلبه ، وعجبت لضاحك ملء فيه لا يدري الله راض عنه أم ساخط عليه . وبكيت لفراق الأحبة محمد وصحبه ، وبكيت لهول المطلع عند سكرات الموت وبكيت للوقوف بين يدي الله لأدري أينطلق بى إلى الجنة أم إلى النار .

وقد جاء فى صحف موسى كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت

ثم هو يفرح . وعجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك . وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب . وعجبت لمن أيقن بالرزق ثم هو يتعب وعجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم هو يغفل . وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن قلبه إليها . وتأتى النصيحة الثانية متمثلة فى قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أى استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة فى طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات التى يحصل لك بها الثواب فى الدنيا والآخرة .

وجاءت الوصية الثالثة فى قوله تعالى : (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى مما أباح الله فيها من المأكول والمشروب والملابس والمساكن والمناكح فإن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولزورك عليك حقا فأت كل ذى حق حقه . وجاءت الوصية الرابعة (وأحسن كما أحسن الله إليك) أى أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك . وجاءت الوصية الخامسة (ولا تبغ الفساد فى الأرض) أى لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به فى الأرض وتسيء إلى خلق الله (إن الله لا يحب المفسدين) هذه الوصايا الخمس التى وجهت إلى قارون إنما هى وصايا عامة لإصلاح نفوس الأغنياء حتى لا تطفئ عليهم الماديات الخطيرة التى إذا تمكنت من القلوب أبعدتها عن ذكر الله (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ، وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون) . إن أهل البطر والفساد خرجوا من دائرة الحب الإلهى . ومن فقد هذا الجانب فقد تبدد جمعه وتمزق شمله . . فماذا كان رد قارون على هذه النصائح ؟ هذا ما سنتحدث عنه فى الحديث القادم إن شاء الله وبالله التوفيق .

الفني في القناعة (٣)

مازلنا نعرض لتلك النماذج التي ذكرها القرآن الكريم من النفوس البشرية التي خضعت تحت سيطرة المادة وكانت عاقبة أمرها وبالأصححيا . واليوم نواصل ما بدأناه في النموذج الرابع وهو قارون الذي طغى وبغى عندما كثر ماله ونصححه قومه خمس نصائح بالألا يفرح ، ويبتغى فيما أتاه الله الدار الآخرة ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا ، ويحسن كما أحسن الله اليه ولا يبغي الفساد في الأرض . فماذا كان رد قارون على هذه النصائح ؟

لقد ثارت ثورته وجن جنونه وأخذته العزة بالآثم . فنطق من منطلق المال ومن منطلق الغنى المطفى : (قال إنما أوتيته على علم عندي) . . وهذه الكلمة (عندي) إحدى كلمات ثلاث أودت بأصحابها إلى قاع الهاوية وما أدراك ما هي نار حامية . فابليس قال : (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فكلمة (أنا) إحدى هذه الكلمات طردت إبليس من رحمة الله إلى يوم يبعثون . وفرعون قال : (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون) فجاءت كلمة (لى) على لسان فرعون مجيء الفخر والكبر فكان مصيره أن يقدم قومه يوم القيامة (فأوردتهم النار وبئس الورد المورود) . . فاحذر يا أخى من هذه الألفاظ الثلاثة التي تجرى على لسانك مجرى الإختيال والفخر ، وأعلم أن من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله واسمع إلى ما قاله سيد ولد آدم : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر » . . ثم يبين الكبر فى كلمات موجزة وجيزة فيقول صلى الله

عليه وسلم : « الكبر غمط الناس ويطر الحق » .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الدراسات القرآنية الاستنباطية أن نذكر ما قاله نبي الله سليمان عندما وجد عرش بلقيس أمامه . لم يقل أناخير من يمشى على الأرض ولم يقل : أليس لى ملك بلقيس ولم يقل إنما أوتيته على علم عنسدى . إنما تذكر عظمة الله وكبريائه وجلاله فقال : (هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم) .

وأي علم ياقسارون ينفع صاحبه إن كان خاليا من نعمة الله وتوفيقه (وما بكم من نعمة فمن الله) وكان من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أصبح أن يقول : (اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك ولا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر) وكان إذا أمسى يقول اللهم ما أمسى بي من نعمة الخ .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فلول مايسجنى عليه اجتهاده

الحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك ، وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها . فماذا كان جواب الله على ما ادعاه قارون ؟ (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة و أكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) وهذا أسلوب القرآن فى معاملة الطغاة الجابرة فيا ابن آدم إذا غرتك قوتك فلم استحكمت فيك شهوتك ؟ وإذا غرك غناك فارزق عباد الله يوما واحدا . من أنت يامن يناديك القبر كل

يوم ويقول لك أنا بيت النود أنا بيت التراب أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الغربة أنا بيت الضيق إلا من وسعني الله عليه من أنت حتى تتكبر على الله تعالى وأولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وأنت بين هذا وذاك تحمل في جوفك العذرة تنتك عرقه وتؤذي بك بقة وتقتلك وشرقة

يا مدعى الكبر إعجابا بصورته انظر خلاك فإن النتن تطريب
لوفكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب وماكول التراب غدا أقصر فأنك مأكول ومشروب

واستمع معي إلى هذه الدر الغوالي التي يقدمها لنا سيد ،
البشرية محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : « ليس الغنى عن كثرة
العرض ولكن الغنى غنى النفس » . وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه
في المال والخلق فليُنظر إلى من هو أسفل منه »

❁ افتتان أهل الدنيا بقارون :

ثم يحكى لنا تعالى صورة لأهل الدنيا الذين يقصدون أصحاب المال
والجاه فيقول جل شأنه « فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين
أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا
الصابرون .

يقول تعالى مخبرا عن قارون إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة

عظيمة وتكمل باهر من مراكب وملابس ، عليه وعلى خدمه وحشمه .
فلما رأى من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها تمنوا أن لو
كان لهم مثل الذى أعطى » قالوا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو
حظ عظيم » من الدنيا فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا
لهم (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) أى جزاء الله لعباده
المؤمنين الصالحين فى الدار الآخرة خير مما ترون . يقول الله تعالى
أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر . اقروا إن شئتم .

» فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قسرة أعين جزاء بما كانوا
يعملون » وقوله (ولا يلقاها إلا الصابرون) أى لا يلقى الجنة إلا
الصابرون عن محبة الدنيا الراغبون فى الدار الآخرة .

❦ نهاية محتومة :

» فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون
الله وما كان من المنتصرين . وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون
ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا
لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون » لما ذكر تعالى اختيال قارون فى
زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم عقب ذلك بأن خسف به وبداره
الأرض عقابا له ولأمثاله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما
رجل ممن كان قبلكم خرج فى بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله
الأرض فأخذته فبأنه ليتجلجل فيها إلى يوم القيامة » تفرد به الإمام
أحمد وإسناده حسن ، وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى
نبي الله عليه السلام واختلف فى سببه فعن ابن عباس والسدى أن

قارون أعطى امرأة بغية مالا أن تبتهت موسى بحضرة الملأ من بنى إسرائيل وهو قائم فيهم يتلوا عليهم كتاب الله تعالى ، فتقول يا موسى إنك فعلت بى كذا وكذا . فلما قالت ذلك فى الملأ لموسى عليه السلام أرعد من الغرق وأقبل عليها بعد ماصلى ركعتين ثم قال : أنشدك الله الذى فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتنى بالذى حملك على ماقلت فقالت : أما إذ أنشدتنى فإن قارون أعطانى كذا وكذا على أن أقول ذلك لك وأنا استغفر الله وأتوب إليه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدا وسأل الله فى قارون فأوحى الله إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه . فأمر موسى الأرض أن تبخله وداره فكان ذلك .

وقيل إن قارون لما خرج على قومه فى زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه وعلى خدمه ثياب الأرجوان المصبغة فمر فى محفله ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بأيام الله فلما رأى الناس قارون انصرفوا وجوههم نحوه ينظرون إلى ما هو فيه فدعاه موسى عليه السلام وقال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال يا موسى أما لئن كنت فضلت على بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا ولئن شئت لنخرجن فتدعو على وأدعو عليك فخرج موسى وخرج قارون فى قومه فقال موسى عليه السلام : تدعو أو أدعو أنا ؟ فقال بل أدعو أنا فدعا قارون فلم يجب له ثم قال موسى : أدعوا ؟ قال : نعم فقال موسى اللهم مر الأرض أن تطيعنى اليوم فأوحى الله إليها أنى قد فعلت : فقال موسى : يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم ثم قال إلى مناكبهم ثم قال : أقبلى بكنوزهم وأموالهم فأقبلت بها حتى نظروا إليها ثم أشار موسى بيده ثم قال : اذهبوا بنى لاوى . . فاستوت بهم الأرض .

وقوله تعالى : (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) أى ما أغنى عنه ماله ولا جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله كان هو فى نفسه منتصرا لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره .

❁ موقف عجيب :

ماذا كان حال الذين تمنوا أن يكونوا مثل قارون ؟ .. قال تعالى : (وأصبح الذين تمنوا مكان بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأن لا يفلح الكافرون) . وهكذا المظاهر الخلابة والماديات الجاذبة تلعب دورهما بأهل الدنيا .. ولقد جاء ختام هذه القصة والتعقيب عليها داعيا إلى انتباه الأذهان انتباهاً يدعو إلى اليقظة : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) . يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذى لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علواً فى الأرض أى ترفعا على خلق الله وتعظما عليهم وتجبرا بهم ولا فساداً فيهم كما قال عكرمة العلو : التجبر : وقال ابن جرير : (لا يريدون علواً فى الأرض) تعظما وتجبرا (ولا فساداً) عملا بالمعاصى .

وقال ابن جرير حدثنا وليع حدثنا أبى عن أشعث السمان عن أبى سلام الأعرج عن على قال : إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل فى قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة

للمتقين) . وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره فإن ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنه أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » . وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجميل فهذا لا بأس به ، فقد ثبت أن رجلا قال : يا رسول الله إنني أحب أن يكون ردائي حسنا ونعلى حسنه أفمن الكبر ذلك ؟ فقال « لا ، إن الله جميل يحب الجمال » .

ومن عجيب ما يروى في هذا المقام أن هذا التعقيب جاء بعد قصتين لطاغيتين من طواغيت البشر هما فرعون وقارون . فقد تحدثت هذه السورة الكريمة عن جبروت فرعون بما تهتز له الجبال الشم والرواس الشامخات ولنذكر جانباً منها على سبيل العبرة والتبرك بتلاوة القرآن : (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين : ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون . وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين . فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) . . فما قصته هذا الطاغية « فرعون » ؟ هذا ما سنعرفه في الحديث القادم إن شاء الله وبالله التوفيق .

طاغية السلطان

في استعراضنا لتلك النماذج البشرية التي ذكرها لنا القرآن الكريم لتلك النفوس التي طغى فيها سلطان المادة على الروح ذكرنا قصة قارون كنموذج لطاغوت المال ، وبدأنا في قصة فرعون كنموذج لطاغية السلطان .. والآن نتابع ما بدأناه فنذكر تلك الآيات القرآنية التي يبين لنا بها النظم الكريم مدي طغيان السلطة على هذا الطاغية فيقول سبحانه :

« فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون . وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلنى أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون فأخذناهم وجنوده فنبذناهم في اليم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون . واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين .»

ويعقب القرآن الكريم على هاتين القصتين بتعقيب مهيب رهيب :
(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) فكلما الرجلين كان عاليا في الأرض فافسدا فيها . والله يقول في شأن فرعون : (أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من

(المفسدين) . وقال قوم قارون له : (ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) ثم تنطق العدالة الإلهية هذا المنطق المشرق المضئ : (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) . أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف تكون قيمته والله يضاعفه أضعافا كثيرة وهذا مقام الفضل . أما قوله (من جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) فهو كما قال فى الآية الأخرى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) وهذا مقام الفضل والعدل .

❊ الدروس المستفادة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

قبل أن تنتقل إلى الدرس الخامس من دروس النفوس البشرية التى طغى عليها حب الدنيا على الآخرة وكانت عاقبة أمرها وبالا وخزيا ، تطوف حول رياض السنة لنقطف منها الثمار الدانية التى تأخذ بيد السارى إلى شاطئ النجاة :

عن أبى هريره رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال قلب الكبير شابا فى اثنتين حسب الدنيا وطول الأمل » (رواه الشيخان والترمذى)

عن عبد الله رضى الله عنه قال : « خط النبى صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط خطا فى الوسط وقال هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا هو الذى هو خارج : أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه

هذا « (رواه البخارى والترمذى)

وقال على رضى الله عنه : ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبله ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فكل أم يتبعها ولدها واليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل .

إن المعيار الصادق والميزان الحكيم الذى وزن الإسلام به الأمور وقيم به الرجال وحدد به المفاهيم هو ميزان التقوى . فلا المال ولا الحساب ولا النسب ولا القوة تصلح أن تكون معياراً لقيمة من القيم أو ميزاناً لتقييم أيا كان نوعه ، بل إن منطق الإسلام يحدد المعيار والميزان فى قوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » فليس الغنى بالمال شرفاً كما أن الفقر مع الفضيله ليس عيباً .

عن أبى أمامه رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً . فإذا جعت تضرعت اليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك » .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن أغبط أوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ نوحظ من الصلاه ، أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضاً فى الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك ثم نفذ يده فقال عجبت منيته قلت بواكيه قل تراثه » . (رواه الترمذى) .

وقيل لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ألسنا من فقراء

المهاجرين ؟ فقال : ألك امرأة تأوى إليها ؟ قال نعم . قال ألك مسكن تسكنه ؟ قال نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فإن لى خادما . قال : فأنت من الملوك . (رواه مسلم)

عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء . (رواه الشيخان والترمذى)

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائه عام » (رواه الترمذى)

وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة إن أردت اللحق بى فليكفك من الدين كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه » . (رواه الترمذى)

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب المثل الأعلى والقذوة الطيبة والأسوة الحسنة فى رقى النفس البشرية إلى أرقى درجات الكمال فى سيطرتها على الشهوات عندما تخبرنا عائشة رضى الله عنها فتقول :

ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعا حتى قبض .

وعنها قالت : كان يأتى علينا الشهر ما يوقد قى بيتنا نار إنما هو

التمر والماء إلا أن نؤتى باللحم .

عن قتادة رضى الله عنه قال : كنا نأتى أنس بن مالك رضى الله عنه وخبازه قائم فقال : كلوا فما أعلم النبی صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله ولا رأى شاه سميطا بعينه قط (رواه البخارى)

عن عبد الله رضى الله عنه قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر فى جنبه فقلنا يا رسول الله لوأخذنا لك (أى فراشا لنا) فقال مالى وما للدنيا. ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرج النبی صلى الله عليه وسلم فى ساعه لا يخرج فيها ولا يلقاه فيها أحد. فأتاه أبو بكر رضى الله عنه فقال : ما جاء بك يا أبا بكر ؟ فقال : خرجت ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنظر فى وجهه ، فلم يلبث أن جاء عمر فقال : ما جاء بك يا عمر . فقال الجوع يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا قد وجدت بعض ذلك ، فانطلقوا إلى منزل أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى وكان رجلا كثير النخل والشاة ولم يكن له خدم فلم يجدوه فقالوا لامراته أين صاحبك فقالت انطلق يستعذب لنا الماء فلم يلبثوا أن جاء أبو الهيثم بقربة يعزبها فوضعها ثم جاء يلتزم النبی صلى الله عليه وسلم ويفديه بأبيه وأمه ثم أنطلق بهم إلى حديقته فبسط لهم بساطا ثم انطلق إلى نخله فجاء بقنو فوضعه فقال النبی صلى الله عليه وسلم : أفلا تنقيت لنا من رطبه ، فقال : يا رسول الله أنى أردت أن تخيروا من رطبه ويسره فاكلوا وشربوا من ذلك الماء .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا والذي نفسى بيده من النعيم الذم تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد .

فانطلق أبو الهيثم ليصنع لهم طعاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تذبحن ذات در ، فذبح لهم عناقا أو جديا فأتاهم بها فأكلوا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل لك خادم ؟ قال : لا . قال فأتا أتانا سبى فأتنا . فأتى النبي صلى الله عليه وسلم برأسين ليس معهما ثالث فأتاه أبو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أختر منهما . فقال يا نبي الله أختر لى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن المستشار مؤتمن . خذ هذا فأتى رأيته يصلى واستوصى به معروفا . فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : ما أنت ببالح ما قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى تعتقه فقال هو عتيق . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله لم يبعث نبيا ولا خليفه إلا وله بطانتان بطانته تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر وبطانته لا تألوه خبالا ومن يوق بطانة السوء فقد وقى .

عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : آله الذى لا اله الا هو إن كنت لاعتمد بكبدى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى ، فمر فلم يفعل . ثم مر بى عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى ، فمر فلم يفعل . ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، فتبسم حين رأتى وعرف ما فى نفسى وما فى وجهى ، ثم قال يا أبا هر . قلت : لبيك يا رسول الله . قال : الحق . فمضى

فتبعته ، فدخل فاستأذن فأذن لى . فدخلت فوجد لبنا فى قدح فقال :
من أين هذا اللبن قالوا أهده لك فلان أو فلانة . قال : أبا هر قلت لبيك
يا رسول الله . قال : الحق إلى أهل الصفه فأدعهم لى . قال : وأهل
الصفة أضياف الإسلام لا يأتون إلى أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا
أتته صدقه بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هديه أرسل
إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها . فسألتنى ذلك فقلت : وما هذا اللبن
فى أهل الصفه كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربه أتقوى بها
فإذا جاعوا أمرنى فأعطيهم وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن . ولم يكن
من طاعة الله ومن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بد ، فأتيتهم
فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت . قال
يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطيهم فأخذت القدح فجعلت
أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح ، حتى أنهت حتى انتهى
النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه
على يده فنظر إلى فتبسم فقال : يا أبا هر . قلت : لبيك يا رسول الله
قال : بقيت أنا وأنت . قلت : صدقت يا رسول الله . قال : أقعد
فأشرب فقعدت فشربت . فقال : أشرب فشربت فما زال يقول أشرب
حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ، قال فأرني فأعطيني
القدح فحمد الله فسمى وشرب الفضلة . (رواه البخارى والترمذى
والإمام أحمد)

عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم فى الصلاة من
الخصاصه وهم أصحاب الصفه حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين . فإذا
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتصرف إليهم فقال : لو تعلمون

ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة قال فضالة وأنا يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . (رواه الترمذى بسند صحيح)

وهكذا اقتطفنا من روضة أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعض الثمار التي تعطى للنفس زادها وتقواها وتبين لها كيف التعامل مع المادة لتتجنب مصير من عرضنا ومن سنعرض من النماذج التي ذكرها القرآن الكريم لنحذر من أغراء الخضوع لسيطرة المادة ،
وفقنا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه ،

كذلك العذاب

ننتقل بالقارئ الكريم إلى الدرس الخامس من الدروس التي ذكرها لنا الحق جلّ شأنه لتلك النفوس التي خضعت لإغراء المادة فضيقت نفسها وحُرمت خيراً كثيراً .

❦ بين الله هذا الدرس في سورة « ن والقلم وما يسطرون » .

بسم الله الرحمن الرحيم : «إنا بلونهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين . ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم فتنابوا مصبحين أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين فأنطلقوا وهم يتخافتون . إن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين . وغدوا على حرد قادرين . قلما رأوها قالوا إنا لضالون . بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون . قالوا سبحان الله وينا إنا كنا ظالمين . فاقبل بعضهم على بعض يتلومون . قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون . كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون » .

قال العلامة ابن كثير تعقيبا على هذه الآيات الكريمة وتفسيرا لها :
هنا مثل ضربية الله تعالى لكفار قريش فيما أهدي إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعث محمد صلى الله عليه وسلم إليهم فقابلوه بالكذب والرد والمহারبة . ولهذا قال تعالى (إنا بلوناهم) أي أختبرناهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهي البستان

المشتمل على أنواع الثمار والفواكة (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين)
أى حلفوا فيما بينهم ان يجنوا ثمرها ليلا لئلا يعلم فقير ولا سائل ليتوفر
ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشئ (ولا يستثنون) أى فيما حلفوا
به ، ولهذا حنثهم الله فى أيمانهم فقال تعالى (فطاف عليها طائف من
ربك وهم نائمون) أى أصابتها أفة سماوية (فأصبحت كالصريم) قال
ابن عباس : أى كالليل الأسود وقال الثورى والسدى مثل الزرع إذا
حصد أى هشيما يبساً .

ولذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من اتباع هوى
النفس بتفضيل المال على طاعة الله فقال صلى الله عليه وسلم « إياكم
والمعاصى إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هئله ثم تلا
الرسول الكريم « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت
كالصريم » قد حرموا خير جنتهم بذنبهم (فتنادوا مصبحين) أى لما
كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجاذأ أى القطع (أن
أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أى تريدون الصرام . قال مجاهد
: كان حرثهم عنبا (فأنطلقوا وهم يتخافتون) أى يتتاجون فيما بينهم
بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم . ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر
والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى : (فأنطلقوا وهم يتخافتون أن
لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أى يقول بعضهم لبعض لا تمكثوا
اليوم فقيرا يدخلها عليكم . قال الله تعالى (وغدوا على حرد) أى قوة
وشدة (قادرين) أى عليها فيما يزعمون ويرومون (فلما رأوها قالوا إنا
لضالون) أى فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهى على الحالة التى
قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والخضرة وكثرة الثمار
إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشئ منها فاعتقلوا أنهم قد

أخطأوا الطريق ولهذا قالوا : (إنا لضالون) أى قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها ، ثم رجعوا عما كانوا فية وتيقنوا أنها هى فقالوا (بل نحن محرومون) أى بل هى هسذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب . (قال أوسطهم) قال المفسرون أى أعدلهم وخيرهم . (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى لولا تستثنون قال السدى وكان استثنائهم فى ذلك الزمان تسبيحا ، وقال بن جرير هو قول القائل أن شاء الله . وقيل معناه أن أوسطهم قال لهم : هلا تسبحون الله وتشكرون على ما أعطاكم وأنعم به عليكم . (قالوا سبحان ربنا أنا كنا ظالمين) أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا وأعترفوا حيث لا ينجم ولهذا قالوا (إنا كنا ظالمين . فأقبل بعضهم على بعض يتالومون) أى يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب (قالوا يا ويلنا أنا كنا طاغين) أى اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا . (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون) قيل رغبوا فى بذلها لهم فى الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها فى الدار الآخرة والله أعلم . ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا : لقد كان أبونا أحق أن كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أنا منعناه لتوفر ذلك علينا ، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدتهم فأذهب الله ما بأيديهم

بالكلية : رأس المال والربح والصدقة ، ولم يبق لهم شئ . قال تعالى :
(كذلك العذاب) أى هكذا العذاب عذاب من خالف أمر الله وبخل بما
أتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات وبذل
النعمة ، نعمة الله كفرا .

(وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أى هذه عقوبة الدنيا كما
سمعتم وعذاب الآخرة أشق ، وقد ورد فى حديث رواه الحافظ البيهقى
من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أى طالب عن
أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجذاذ بالليل
والحصاد بالليل .

فأنظر يا أخى نظرة المتأمل مدى الخطر المترتب على نطق اللسان
بالسوء (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) وكيف تجاوب اللسان مع
النية ؟ (ولا يستثنون) أى صمموا وعزموا دون أن ينطقوا بالمشيئة
المهيمنة أو يستثنوا نصيب الفقراء ، وكيف قطعوا على أنفسهم عهدا أن
يقوموا فى الصباح قبل أن تبرز الغزالة من خدرها ، وقبل أن يتنفس
الصبح ويسفر الفجر فعاملهم الله بالعقاب من حيث لم يحتسبوا وكانوا
وقتها نائمين والعقاب يقظ (فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون) .
ثم أنظر وقد عزموا على أن يقطعوها هم فأحرقتها النار فأصبحت
كالصريم ، وكيف قاموا من سباتهم (فتنادوا مصبحين أن اغدوا على
حرتكم إن كنتم صارمين) وكيف أسروا النجوى فى أنفسهم (وأقبل
بعضهم على بعض) فانطلقوا وهم يتخافتون وعزموا على الأمر السيئ
والنية المشنومة (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) وغدوا فى زعمهم
قادرين على المنع (وغدوا على حرد قادرين) فماذا كانت المفاجأة ، كانت

رهيبه ومهيبه وعذيفة تنخلع من هولها الأفئدة وتنفطر من جبروتها
القلوب .

لقد ضلوا عن طريق جنتهم في زعمهم لأنها أصبحت أثرا بعد عين
(فلما رأوها قالوا إنا لضالون) ثم ساءبوا إلى رشدهم (بل نحن
محرومون) .

ثم قال لهم أعقلهم وأكيسهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون) فقالوا
بعد فوات الأوان (سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) . قالوها والندم يكوى
النفوس ويسيل النفس مراره ولوعة (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا
إلى ربنا راغبون) وهكذا تعمل النية عملها .

صدقت يا سيدى يا رسول الله : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل
امرى ما نوى » . وصدقت يا أبا القاسم « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما
وقر في القلب وصدقة العمل ، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من
الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا ، لو
أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

أخى المسلم إليك هذه الوصايا النبوية الشريفة أرجوا أن تعمل بها
لأن فيها النجاة في الدنيا والآخرة ومن لنا غير رسولنا الحبيب نتزود منه
نورا لحياتنا ونتأسى به في سلوكنا فهو المعلم الأكبر معلم البشرية
جمعاء :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها فى النار أبعد ما
بين المشرق والمغرب » (رواه الشيخان والترمذى) . ولفتة إن الرجل

ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا في النار.

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم » . (رواه البيهقارى والترمذى) .

ولفظه إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » . (رواه الأربعة)

عن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة » (رواه الشيخان والترمذى)

عن سفيان الثقفى رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله حدثنى بأمر أعتصم به . قال : « قل ربى الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف على فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا » .

عن عقيب بن عامر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاء قال « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير الله قسوة للقلب »

وإن أبعد الناس من الله ذو القلب القاسى .

عن أم حبيبة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر
الله تعالى » .

عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا
فإنما نحن بك فإن استقمتم استقمنا وإن اعوججت اعوججنا » .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « من غير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل » .

عن واثلة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا
تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبغلك » . (روى هذه السبعة
الترمذى) ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم : « السلامة فى
العزلة » .

عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : جاء أعرابى إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : أى الناس خير قال « رجل جاهد
بنفسه وماله ، ورجل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من
شره » . (رواه البخارى وأحمد)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأتى على الناس زمان
يكون خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها سعف الجبال ومواقع القطر
يفر بدينه من الفتن » (رواه البخارى وأبو داود) .

وعن عطية السعدي رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس » . (رواه الترمذى والحاكم)

وعن على بن الحسين رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » . (رواه الترمذى وأحمد والحاكم) .

عن أنس رضى الله عنه قال : توفي رجل من الصحابة فقال رجل : أبشر بالجنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أوتدري فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه » (رواه الترمذى) .

وهكذا فإن جهاد النفس ليس له حدود حتى تعرف ربها وتخضع لشريعته وسنة رسوله الكريم فتنتهي حياتها الدنيا وترجع إلى الله راضية مرضية ندعوا الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وأن يزكى نفوسنا فهو خير من زكاها .

المال والنفس

يقول فيه مولانا تبارك وتعالى : « ذرني ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا وبينين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . . ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا إلا قول البشر . سألصليه سقر . وما أدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر عليها تسعة عشر » .

والمراد بهذا الذي يقص الله علينا شأنه هو الوليد بن المغيرة الذي سبق أن ذكر الله صفاته عندما أساء الوليد الأدب على رسول الله فاتهمه بالجنون . قال تعالى : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجراً غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم . فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » فبعد أن نفى الله تعالى تهمة الجنون عن حبيبه ومصطفاه وأثبت له الأجر والثواب الذي لا ينقطع أبداً ولا ينقضى سرمداً ، ومدحه بما منحه وشهد له بالخلق العظيم . قال تعالى مهديداً وموعداً فسترى وترون من المجنون ومن الذي افتن في عقله ومحن ، ثم وأسى حبيبه فقال : « إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » . ثم ذكر بعد ذلك صفات الوليد فقال : فلا تطع المكذبين . وبوا لو تدهن فידهنون . ولا تطع كل حلاف مهين . همار مشاء بنميم . مناع للخير معتداً أثيم عتل بعد ذلك زنيماً . أن كان ذا مال وبينين . إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين سنسمه على الخرطوم » .

ففى الصفة الأولى جعل التكذيب من شأنه ، فهو من المكذبين بالحق المجادلين بالباطل وأنه ومن على شاكلته يوبون لو مال الرسول إليهم ، فهم بذلك يدهنون ويخادعون . ووصفه ثانياً بأنه حلاف ، والحلاف صيغة مبالغة من الحلف ، والرجل إذا كثر حلفه كثر كذبه ، لأنه سيستهين بجلال الله وعظمته ، ووصفه ثالثاً بأنه مهين أى حقير ، وأبى حقارة تلك التى يتصف صاحبها بهذه الصفات ، ووصفه الله تعالى رابعاً أنه همار أى كثير الهمز والعيب والطعن . ووصفه تعالى خامساً أنه مشاء بنميم أى كثير المشى فى الإفساد بين الناس وقطع الصلات والقضاء على ما بين النفوس من مودة ورحمة . وقد صدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول « لا يدخل الجنة نمار » وبين الله تعالى صفته السادسة بقوله مناع للخير : أى كثير المنع لا يجود ، إنما هو بخيل شحيح ، والبخل والإيمان لا يجتمعان فى قلب واحد . وبين الله صفته السابعة بأنه معتد أى ظالم يتجاوز حدود ما أمر الله به ، معتمداً على ماله وبنيه ، وبين الله تعالى صفته الثامنة بأنه أثيم أى كثير الأثام والذنوب والأوزار ، ويختتم الله هذه الصفات بصفتين مناسبتين لما سبق من الصفات فيصفه بأنه عتل أى قاس القلب غليظ ، لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلاً ، ثم يصفه عاشراً بأنه زميم أى فاحش سئ الخلق ، ما الذى دفعه إلى كل هذا ؟ كثرة ماله وكثرة أولاده جعلتا قلبه مليئاً بالغرور والكبر ، حتى قال عن القرآن إنه أساطير الأولين وخرافات السابقين ، فأوعده الله عقاباً من جنس العمل قال « سنسمه على الخرطوم » أى سنكويه على أنفه ونحدث له وشماً أى علامة على عضو الجمال فى الوجه ولم يقل على أنفه إنما قال الخرطوم تشبيهاً له بالفيل ، فالخرطوم هو أنف الفيل ، ويزيدنا القرآن الكريم تأكيداً لعقوبته وتفصيلاً لشخصية

الوليد ، فيقول في سورة المدثر : « ذرني ومن خلقت وحيداً » ... الخ الآيات .

يقول العلامة ابن كثير : يقول الله تعالى متوعداً لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرأ وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر ، وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى : « ذرني ومن خلقت وحيداً » أى خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى « مالا ممدوداً » أى واسعاً كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضاً يستغلها وقيل غير ذلك . وجعل له « بنين شهوداً » قال مجاهد لا يغيبون أى حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم ، وكانوا فيما ذكره المفسرون ثلاثة عشر ، وهذا أبلغ فى النعمة وهو إقامتهم عنده .

« ومهدت له تمهيداً » أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك « ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيدا » أى معاند وهو الكفر على نعمة بعد العلم ، قال تعالى « سأرهقه صعوداً » . قال النبی صلى الله عليه وسلم « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » رواه البراز وابن جرير من حديث شريك به .

وقوله تعالى « إنه فكر وقدر » أى إنما أرهقناه صعوداً أى قريناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول فى القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يخلق من المقال وقدر أى تروى « فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر » وعاد عليه « ثم نظر » أى

أعاد النظرة والنزوى « ثم عباس » أى قبض بين عينيه وقطب « ويسر »
أى كلع وكره . وقوله « ثم أدبر واستكبر » أى صرف الحق ورجع
القهقري مسكناً عن الانقياد للقرآن « فقال إن هذا إلا سحر يؤثر » أى
هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال « إن
هذا إلا قول البشسر » أى ليس بكلام الله . وهذا المذكور فى هذا
السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان
من خبره فى هذا ما رواه العوفي عن ابن عباس قال : دخل الوليد بن
المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج
على قريش فقال : عجبا لما يقول ابن أبى كبشة ، فوالله ما هو بشعر
من الجنون ، وإن قوله لمن كلام الله ، فلما سمع بذلك انفرد من قريش
انتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبأن قريش ، فلما سمع بذلك أبو
جهل ابن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته
فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال : ألسنت
أكثرهم مالا وولداً ؟ فقال له أبو جهل : يتحدثون إنك إنما تدخل على ابن
أبى قحافة لتصيب من طعامه . فقال الوليد : أقد تحدث بهذا عشيرتى !

❦ الدرس السابع : فى الصبر على حكم الله تعالى :

قال الله تعالى : « رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات
تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم »

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : يقول الله تعالى « ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه
من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » رواه البخارى .

وعنه عن النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل الكافر كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد » . (رواه الشيخان والترمذي) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله وما عليه خطيئة » .

عن مصعب بن سعد عن أبيه رضى الله عنهما : قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاءاً قال « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة » .

عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت الوجع أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة فى الدنيا وإذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى يوم القيامة » .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط » .

عن سعد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه

استخارة الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له .

عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض » . رواه الترمذى هذه السبعة .

عن حذيفة رضى الله عنه كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أحصوا لى كم يلفظ الإسلام فقلنا يا رسول الله أتخاف ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة قال إنكم لا تدرون لعلمكم أن تبتلوا . قال فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سراً » .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها » (رواهما مسلم) .

وهكذا فإن الصبر على حكم الله تعالى هو خير دواء للنفس البشرية في كبح جماح رغباتها التي لا نهاية لها وبالتالي فإنه يساعدها في صراعتها ضد الشهوات التي تجنح بها عن الصراط المستقيم . وبالتالي فعلى الإنسان المسلم أن يتسلح بالصبر ويرضى بما رضى الله به فهذا هو الفوز المبين .

❖ الدرس الثامن : فى القضاء والقدر :

عن عبد الله رضى الله عنه قال : الشقى من شقى فى بطن أمه
والسعيد من وعظ بغيره فسمعه رجل فأتى حذيفة فأخبره بذلك وقال :
كيف يشقى رجل بغير عمل فقال حذيفة أتعجب من ذلك فإنى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون
ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها
وعظامها ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول
يا رب رزقه فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة
فى يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص » . (رواه مسلم) .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
إن الله عز وجل قد وكل بالرحم ملكاً فيقول أى رب نطفة أى رب علقة
أى رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضى خلقاً قال الملك أى رب ذكراً أو
أنثى شقى أو سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب كذلك فى بطن أمه .
رواه الشيخان .

ولهذا فإن الإيمان بالقضاء والقدر من أساسيات الإيمان بالنسبة
للمؤمن الذى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيرره وشره ..
ندعو الله أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ..
والحديث بقية .

❖ فى القضاء والقدر :

نتابع هنا ما بدأناه فى المقال السابق عن الرضا بالقضاء والقدر
كوسيلة لتربية النفس وقمع شهواتها حتى تتبع الهدى صراطاً مستقيماً
بما يرضى الله ورسوله :

عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال « ما منكم من نفس ألا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل ؟ قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) (الآيتين) (رواه الأربعة) . قيل يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم ، أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟ قال لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل ، قال كل عامل ميسر لعمله . رواه مسلم والترمذي ولفظه قال عمر يا رسول الله أرأيت ما نعمل فيه أمر مبتدع أو فيما قد فرغ منه فقال فيما قد فرغ منه يا ابن الخطاب كل ميسر . أما من كان من أهل السعادة ، فإنه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه شيء قضى عليهم ومضى أو فيما يستقبلون به فقال لا بل شيء قضى عليهم وتصديسق ذلك في كتاب الله عز وجل (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) . (رواه مسلم والترمذي) عن عبد الواحد بن سليم رضي الله عنهما قال : قدمت مكة فلقيت عطاء بن أبي رباح فقلت يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر . قال يا بني أنقرأ القرآن قلت نعم قال فاقرا الزخرف فقلت « حم والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم » فقال أتدرى ما أم الكتاب ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال فإنه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماوات والأرض

فيه إن فرعون من أهل النار ، وفيه تبت يدا أبي لهب .

قال عطاء : فلقيت الوليد بن عباد ابن الصامت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته ما كان وصية أبيك عند الموت قال دعاني أبي فقال لي يا بني أتق الله واعلم أنك لن تتقى الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره فإن مت على غير هذا دخلت النار . إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب . قال ما أكتب ؟ قال القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد . (رواه الترمذي وأبو داود) وقال عبد الله بن فيروز الديلمي : أتيت أبي بن كعب فقلت له وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله تعالى أن يذهب من قلبي . فقال لو أن الله تعالى يعذب أهل سمواته وأهل أرضه لكان غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته إيساهم خير لهم من أعمالهم . ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله تعالى ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار ، قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك . (رواه أبو داود) .

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله تعالى » . (رواه الترمذي في الإيمان) .

❦ الدرس التاسع : النهي عن الجدل في قدر الله تعالى

من السمات التي يتسم بها الإسلام أنه دين عملي واقعي يحترم العقل ويقيم الموازين للفكر السليم ولا يرضى لاتباعه أن يجادلوا في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ويقرر أن الله إذا غضب على قوم رزقهم الجدل ومنعهم العمل ، وهذه إشارة إلى ضلالهم بعد الهدى .

وفي القرآن الكريم موقفان يدلان دلالة صادقة على أن المسلم إذا سأل ينبغي أن يسأل عما يفيد : سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الأهله أى منازل القمر فلم تكن الأجابه ممّ صنعت الأهله ولا عن معدنها ، وإنما كانت الإجابة عن فوائدها . لم يقل لهم إن الأهله من ذهب أو فضة أو نحاس أو رصاص ، كل هذا لا طائل تحته . إنما علمهم أن يسألوا عما يفيد .

والآية الثانية "يسألونك ماذا ينفقون" فأجابهم لا عن ماذا إنما كانت لمن ينفقون . قال تعالى « يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فقلوا الدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » . فكانت الإجابة هنا : ما أنفقتم من خير فلهذه المصارف ولا داعى إلى أن يقول ما أنفقتم من ذهب أو فضة لأن الخير أعم من هذا .

ونخلص من هذه المواقف إلى أن المؤمن يجب أن يكون رقيبا على لسانه محافظا على وقته بصيرا بعيوبه عالما بشئونه . ومما نهى عنه الإسلام الجدل في القدر لأن الأمة إذا وقعت في الجدل كان ذلك دليلا على إفلاسها الفكرى ، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم في

ذلك أحاديث نوردها فيما يلي ، عن أبي هريره رضي الله عنه قال :
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر
فغضب حتى أحمر وجهه حتى كأنما فقى وجنتيه الرمان فقال
« أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا
في هذا الأمر عزمتم عليكم ، عزمتم عليكم ألا تنازعوا فيه »

عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم أن ما أصابه
لم يكن ليخطئه وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه » . « رواهما الترمذي » .

عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «
سنته لعنتهم لعنهم الله وكل نبي كان : الزائد في كتاب الله والمكذب
بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز بذلك من أنزل الله ويذل من أعز الله ،
والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي »
« رواه الترمذي والحاكم بسند صحيح »

ومن ثم فإن الآجال والأرزاق محدودة . قال الله تعالى : (فإذا جاء
أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) . قالت أم حبيبة رضي الله
عنها : اللهم متعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي
سفيان وبأخي معاوية ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنك
سألت الله لأجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيئا
منها قبل حله ولا يؤخر منها شيئا بعد حله ، ولو سألت الله أن يعفيك
من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيراً لك ، فقال رجل يا رسول
الله القردة والخنازير هي مما مسخ فقال : إن الله عز وجل لم يهلك
قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانوا قبل

ذلك » (رواه مسلم)

وقال خالد الحذاء رضى الله عنه : قلت للحسن يا أبا سعيد أخبرنى عن آدم عليه السلام أليسما خلق أم للأرض . قال لا بل للأرض قلت أرأيت لو اعتصم قلم يأكل من الشجرة قال لم يكن منه بد ، قلت أخبرنى عن قوله تعالى (ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) قال إن الشياطين لا يفتنون بضاللتهم إلا من أوجب الله عليه الجحيم ، وسأله عن قوله تعالى : (ولذلك خلق هؤلاء لهذه هؤلاء لهذه . (رواهما أبو داود)

⊗ نعوذ بالله من سوء الخائفة :

عن أنس رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثُر أن يقول « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » فقلنا يارسول الله أمنا بك وبما جئت به فهل تضاف علينا ؟ قال « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء » (رواه الترمذى ومسلم) ولفظه « إن قلوب بنى آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » .

ثم قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم (فطرة الله التى فطر الناس عليها) .

فقال « من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إلى هذا » فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فعجل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من كتفيه ، فاقبل الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسرعا فقال أشهد أنك رسول الله فقال وماذا ؟ قال قلت على فلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليتنظر إليه وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين ، فعرفت أنه لا يموت على ذلك ، فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك « إن العبد لعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم » . (رواه البخاري) .

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله ، فقل كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت » . (رواه الترمذي بسند صحيح)

❶ وجوب المبادرة بالعمل الصالح :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض الدنيا » (رواه مسلم والترمذي)

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بادروا بالأعمال سبعاً « هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو همّا مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » (رواه الترمذي والحاكم) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يسادروا بالأعمال ستا
« طلوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة
أحدكم أو أمر العامة » (رواه مسلم والإمام أحمد) .

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو تعلمون ما
أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » (رواه البخاري والترمذي) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حجببت النار
بالشهوات وحجببت الجنة بالمكاره » (رواه الشيخان والترمذي) .

ومعنى الشهوات أى ما تشتهيها النفوس وتستلذها من المحرمات
كالزنا وشرب الخمر والملاهي فهذه كالحجاب حول النار ، فمن ارتكبها
فقد تسبب فى دخول النار ، والمكاره ما تكره النفوس من التكاليف
الشرعية ومكارم الأخلاق كالصبر وكظم الغيظ والعفو عن المسيء
والإحسان إليه ، فهذه كالحجاب حول الجنة فمن قام بها فقد سبب
لنفسه الجنة ، ولفظ مسلم والترمذي « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات » .

اللهم إنا نسألك الجنة وما يقرب إليها من قول أو فعل ونستعيذ بك
من النار وما يقرب إليها من قول أو فعل إنك سميع مجيب الدعوات .

عظات بالغة

عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إننى أرى ما لاترون ، وأسمع ما لاتسمعون ، أطلت السماء وحق لها أن
تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله ، والله
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على
الفرش ولا خرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، لو ددت أنى كنت
شجرة تعضد » أى كنت خلقت شجرة فتقطع وتذهب وتصير فى خبر
كان .

فهذه من النبي صلى الله عليه وسلم كلمة كبيرة تدل على أن
ما يراه من المغيبات عنا عظيم يتمنى الموت من هول ما يرى ، وهذا يتطلب
منا جهادا عظيما لنفوسنا حتى نتغلب على شهواتها وتتجه إلى رحاب
الحق .

❦ التوكل على الله :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم :
« يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » (رواه الشيخان والترمذى)

وعن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو
أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو
خماصا وتروح بطانا » (رواه الترمذى وأحمد والحاكم) .

عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أعقلها و أتوكل أو أطلقها وأتوكل ، فقال « أعقلها وتوكل » (رواه الترمذى)

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من نزلت به فاقه فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن نزلت به فاقه فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو أجل عاجل » .

عن أنس رضى الله عنه قال : كان أخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتى النبي صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « لعنك ترزق به » .

وكتب معاوية رضى الله عنه إلى عائشة رضى الله عنها أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى على . فكتبت إليه : سلام عليك أما بعد : فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » والسلام عليك . (روى هذه الثلاثة الترمذى) .

❶ فى الرقائق :

عن أبى هريره رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا فقد أذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ،

ولأن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته . (رواه البخاري والإمام أحمد)

عن البراء رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي صلى عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الأرض فرفع رأسه فقال : استعينوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال : « إن المؤمن إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع خفق نعالهم يأتيه ملكان فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان وما يدريك ؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت . فذلك قول الله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » . فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة . قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفتح له فيه مد بصره . وإن الكافر أو المنافق إذا وضع في قبره وعادت روحه في جسده يأتيه ملكان فيقولان له من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري . فيقولان ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري ، فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هاه هاه لا أدري . قال فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه ، ثم يقيص له أعمى أبكم معه مرزبه من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه

بها ضربه يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح » . (رواه أبو داود والنسائي) .

عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من حافظين رفعا إلى الله ما حفظا من ليل أو نهار فيجد الله في أول الصحيفة وفي آخر الصحيفة خيرا إلا قال الله تعالى : « أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » (رواهما الترمذى فى الجنائز) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له . (رواه الترمذى) .

عن أبى هريره رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ولا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك » (رواه الترمذى) .

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الطاعم الشاكر بمنزله الصائم الصابر » . (رواه الترمذى وأحمد والحاكم) .

عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله . فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابه بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته إلا الله تعالى والذى أعطاه ، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا

رعوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلوا آياتي ، ورجل كان في سرية فلقى العدو فهزموا فاقبل بصدرة حتى يقتل أو يفتح له . والثلاثة الذين يبغضهم الله : الشيخ الزانسي ، والفقير المختال ، والغني الظلم . (رواه الترمذي وابن حبان والحاكم)

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتثرون فقال « أما إنكم لو أكثرتم ذكر هازم اللذات لشغلكم عما أرى . فأكثروا ذكر هازم اللذات (الموت) فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول : أنا بيت العزبه وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب ، وأنا بيت النود فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهري إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فستري صنيعي بك . قال فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة . وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر فقال له القبر لا مرحبا ولا أهلا ، أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهري إلى فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فستري صنيعي بك ، قال فليأتكم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه . قال رسول الله عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض قال : ويقيض الله سبعين تنينا (شعبانا) لو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به إلى الحساب . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » (رواه الترمذي) .

واعلم يا أخى أن فضل الله هو السبب الأول فى دخول الجنة
فالمؤمنون يدخلون بفضل الله تعالى ويقتسمون درجاتها بأعمالهم ، وهذا هو
الجمع بين قوله تعالى (ولكل درجات مما عملوا) وقوله جل شأنه
(وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون) وبين قول النبى صلى
الله عليه وسلم : « قاربوا وسددوا واعملوا أنه لن ينجوا أحد منكم بعمله
قالوا يا رسول الله ولا أنت قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته منه
وفضل » . وفى روايه « لا يدخل أحدنا منكم عمله الجنة ولا يجيره من
النار ولا أنا إلا برحمه من الله » (رواه الشيخان والنسائى) .

❦ فضل الصدقة :

قال الله جل شأنه : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم . ألم يعملوا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم » .

بينما يرغب القرآن في هذا الموضع يحذر تحذيرا شديدا في موضع آخر من كنز المال وهو المال الذي لم تخرج زكاته . فيقول جل شأنه « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فأنفقوا ما كنتم تكتزون » .

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الخير . (اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله) .

واعلم يا ابن آدم أنك يوم تموت تصاب بمصيبتين : الأولى أنك تترك مالك كله ، والثانية أنك تسأل عن مالك كله . وقد قيل للرجل الصالح محمد بن كعب القرظي وكان غنيا . قيل له وهو على فراش الموت ماذا تركت لأولادك من المال ، قال ادخرت مالي لنفسي عند ربي وادخرت ربي لأولادي . نعم (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا . إن الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما إنما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » .

وما أجل هذا الموقف المهيّب : « وأما الجدار فكان لفلانين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا

أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا .

هذا خطاب وجهه العبد الصالح إلى كريم الله ونجيه موسى وتأمل معي : نبي من أولى العزم وعبد صالح علمه الله من لدنه علما يتوجهان لرفع جدار يريد أن ينقص ليحتفظ بكنز تحته ، وسر كل هذا صلاح الآباء فإنه ينفع الأبناء بل وتقوى الأجداد تنفع الأحفاد .

ومن رياض السنة نقتطف هذا الحديث ليسبين ما ينتظر الإنسان الذي يتصدق ولا يغلبه حب المال فيكنزه . عن أبي ذر رضى الله عنه قال « خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى وحده ليس معه إنسان فظننت أنه يكره أن يمشى معه أحد فجعلت أمشى في ظل القمر فالتفت فرأيت فقال ما هذا ؟ قلت : أبوذر جعلني الله فداك . قال : تعاله فمشيت معه ساعة فقال : اجلس ههنا فأجلسني في قاع حوله حجاره فقال اجلس ههنا حتى أرجع إليك . فانطلق في الحره حتى لا أراه فلبث عني فأطال اللبس ثم سمعته وهو مقبل يقول : وإن سرق وإن زنى ، فلما جاء لم أصير فقلت : يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلم في جانب الحره ما سمعت أحدا يرجع إليك شيئا ؟ قال ذاك جبريل عرض لي في جانب الحره فقال أبشر أمستك أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت : يا جبريل وإن سرق أو زنى . قال نعم . قلت وإن سرق أو زنى قال نعم وإن شرب الخمر » (رواه الشيخان)

اللهم وفقنا إلى ما تحبه وترضاه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذا أمر خطير تقوم عليه حياة الأمم ، فما من أمة يسودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كان السعد رائدها والنصر حليفها وألبسها الله لباس العز والشرف ، وما من أمة تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كان الذل رائدها والخذلان حليفها وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

ولقد تضافرت آيات الكتاب العزيز في مواضع شتى على أهمية هذه القضية ومن يقرأ وصية لقمان لابنه يلمح في ذلك المدى البعيد لأهمية هذا الركن الركين : (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) .

ومن يقرأ التوجيهات الصارمة إلى الأمة الإسلامية يجد هذا الحصن الحصين شامخ البنيان وطيد الأركان (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

ثم ماذا ؟ (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

ومن يقرأ سورة التوبة يجد أركان المجتمع السليم تقوم على هذه الدعائم (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) .

وهل خيرية هذه الأمة جاءت على سبيل المجاملة ؟ كلا وألف كلا .
إن لخيرييتها حيثيات لوزالت إحداها انتكست وارتكست وتمرغت في غياهب الظلمات :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

فإذا تعطلت تلك الأركان عاشت الأمة على أرض النفاق وأظلم جوها واقفهر واقتلعتها عواصف الشر . قال سبحانه (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرزون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم) .

وما قبل الله شراء أنفس المؤمنين وأموالهم وأعطاهم الجنة إلا لما اتصفوا بهذه الصفات (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .

وقد جاءت السنة الشريفة شارحة وموضحة للأمر بالمعروف مبينة درجات الأمرين والناهين : عن طارق بن شهاب رضى الله عنه قال : أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة يوم العيد مروان فقام إليه رجل فقال قد ترك ما هناك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يأمرن ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » (رواه مسلم فى الإيمان)

وقيل لأسامة بن زيد رضى الله عنهما : ألا تدخل على عثمان فتكلمه فقال أترون إنى لا أكلمه إلا أسمعكم ، والله لقد كلمته فيما بينى وبينه ما دون أن أفتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه ولا أقول لأحد يكون على أميراً أنه خير الناس إن خير الناس بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فينور بها كما يدور بها الحمار بالرحى فيجمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية » .

(رواه الثلاثة)

ولأصحاب السنن « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر » . عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها في غير مواضعها : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » .

عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإن لا يحل لك ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيلة وشريفة وقعيدة فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض . ثم قال : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدى الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم » . (رواه أبو داود والترمذى)

عن جرير رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرهم

على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابعهم الله بعقاب من قبل أن يموتوا » ، (رواه أبو داود والترمذى)

عن العرس الكندى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فريضها كان كمن شهدها » ، (رواه أبو داود)

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا خفيت الخطيئة لا تضر إلا صاحبها وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة » ، (رواه الطبرانى)

عن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم » ، (رواه الترمذى والطبرانى)

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : بينما نحن حول النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذكرت الفتنة فقال « إذا رأيتم الناس قد مرحت عهودهم وخفت أمانتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه ، فقلت إليه فقلت : كيف أفعل عند ذلك يا رسول الله جعلنى الله فداك ، قال : الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » ، (رواه أبو داود والنسائى) .

ومعنى املك عليك لسانك : أى دع الكلام فى أحوال الناس لئلا يؤذوك ، ومعنى عليك بأمر خاصة نفسك : أى اشتغل بما يخصك لديك ودنياك » .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن خير الناس فقال : أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم .

وعن علي كرم الله وجهه : « أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن غضب لله غضب الله له » .

وخطب عمر بن الخطاب على المنبر وكان مما قال : إذا رأيتم في أعوجاجاً فقوموه . فقام أحد رعاة الإبل وقال : لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيوفنا . فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم عمر بسيفه .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي صان الأمة الإسلامية من الانحراف وحملها على الولاء للمنهج الإسلامي وعدم التحريف للدين والشذوذ الجماعي ، وحفظها من العثرات المردية على طريقها الطويل ورحلتها الشاقة في ميادين الاجتهاد والاستنباط وإنارة السبيل للسالكين ، وحفظ القادة والزعماء والمفكرين والعلماء من الافتتان بالرأي والاعجاب بالنفس أو من ادعائهم أو ادعاء اتباعهم العصمة لهم . لأن هذه الأمة كانت متمسكة بذلك الأمر التكليفي من الحكيم الخبير : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

وما فتئت هذه الأمة خير الأمم حتى تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما تركتهما إلا باستبداد الملوك والأمراء من بنى أمية ومن حدا حنوهم . وأول من اجتراً منهم على إعلان هذه المعصية : عبد الملك بن مروان حين قال على المنبر : من قال اتق الله ضربت عنقه » .

وما زال الشر يزداد والأمر يتفاقم حتى سلبت هذه الأمة أفضل ما لها من مزية في دينها ودنياها بعد الإيمان وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكان أعظم المعروفات الدين الحق ، والإيمان بالتوحيد والنبوة ، وأنكر المنكرات الكفر بالله .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الجهاد الأكبر لأنه جهاد النفس البشرية ولما كان فرض الجهاد في الدين يحمل الإنسان أعظم المضار لإيصال غيره إلى أعظم المنافع وتخليصه من أعظم الشرور ، لهذا كان عبادة من العبادات بل كان أجلها وأعظمها ، وهو في ديننا الإسلامي أقوى منه في سائر الأديان . وهذا كان موجبا لأفضل هذه الأمة على سائر الأمم ، لكن عندما أنطفت شعلة الجهاد أو كادت عرف الناس ضعف العالم الإسلامي وخذلانه وهوانه .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي جعل الأمة الإسلامية تسود العالم كله كما أنبأنا العليم الخبير : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

الهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المسكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين يا نعم المولى ويا نعم النصير ، غفرانك ربنا وإليك المصير . اللهم اجعلنا من جنودك المخلصين وانصرنا على أعدائك أعداء الدين .

واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وصلى على البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

كرامات الأولياء

كثير تسأول الناس فى هذا الزمان عن الكرامات ، هل هى ثابتة فى الشرع ؟ هل لها دليل من الكتاب والسنة ؟ ما هى الحكمة من إجرائها على يد الأولياء والمتقين ؟ ... الخ .

وبما أن موجات الالحاد والمادية ، وتيارات التشكيك والتضليل قد كثرت فى هذا الوقت ، فاثرت فى عقول كثير من أبنائنا ، وأضلت العديد من مثقفينا ، وحملتهم على الوقوف من الكرامات موقف المنكر الجاحد أو الشاك المتردد أو المستغرب المتعجب نتيجة ضعف إيمانهم بالله وقدرته وقلة تصديقهم بأوليائه وأحبائه .. فلا يسعنا إلا أن نعالج هذا الموضوع إظهاراً للحق ونصرة لشريعة الله تعالى .

❶ إثبات الكرامات :

لقد ثبتت كرامات الأولياء فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفى آثار الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن بعدهم إلى يومنا هذا ، وأقرها جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة ، من الفقهاء والمحدثين والأصوليين ومشايخ الصوفية ، وتصانيفهم ناطقة بذلك ، كما ثبتت كذلك بالمشاهدة العيانية فى مختلف العصور الإسلامية . فهى ثابتة بالتواتر فى المعنى ، وإن كانت التفاصيل آحاداً ، ولم ينكرها إلا أهل البدع والانحراف ممن ضعف إيمانهم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله .

قال العلامة الياقعى رحمه الله تعالى : « والناس فى إنكار

الكرامات مختلفون ، فمنهم من ينكر كرامات الأولياء مطلقاً ، وهؤلاء أهل مذهب معروف ، عن التوفيق مصروف ، ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه كـمعروف الكرخي والإمام الجنيد وسهل التستري وأشياهم رضى الله عنهم .

فهؤلاء كما قال أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه : والله ما هي إلا إسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لأنهم أدركوا زمانه .

ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ولكن لا يصدق بأحد معين من أهل زمانه .

❶ الدليل عليها من كتاب الله تعالى :

١- قصة أصحاب الكهف ويقائهم في النوم أحياء سالمين عن الآفات مدة ثلاثمائة وتسع سنين ، وأنه تعالى كان يحفظهم من حر الشمس : « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تعرضهم ذات الشمال » ، إلى أن قال : « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » إلى أن قال : « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً » .

٢- هز مريم جزع النخلة اليابس ، فاخضر وتساقط منه الرطب الجنى في غير أوانه ، قال تعالى : « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً » .

٣- ما قص الله علينا في القرآن من أن زكريا عليه السلام كان كلما دخل على مريم المحراب وجد عندها رزقاً ، وكان لا يدخل عليها أحد غيره عليه السلام فيقول : يا مريم أنى لك هذا ؟ تقول : هو من عند الله .

٤- قصة أصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام على ما قاله جمهور المفسرين في قوله تعالى : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » . فجاء بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين قبل ارتداء الطرف .

⊙ الدليل عليها من السنة الصحيحة :

١- قصة جريج العابد الذى كلمة الطفل فى المهد ، وهو حديث صحيح أخرجاه فى الصحيحين : عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله وسلم قال : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى ، وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج ، كان يصلى فجاءته أمه ، فدعته ، فقال أجيبها أو أصلى ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تراه وجوه المومسات . وكان جريج فى صومعته فتعرضت له امرأة وكلمته ، فأبى ، فأتت راعياً ، فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاماً . فقالت : من جريج فأتوه فكسروا صومعته ، وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ فقال : الراعى قالوا : نبى صومعتك من ذهب ؟ قال : لا > إلا من طين .. » .

٢- قصة الغلام الذى تكلم فى المهد : وهذا تمام الحديث المذكور آنفاً : « ... وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بنى إسرائيل ، فمر بها رجل

راكب نوشارة ، فقالت : اللهم اجعل ابني مثله ، فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال : اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه . قال أبو هريرة : كأنني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه .

ثم مر بأمة ، فقالت : اللهم لا تجعل ابني مثل هذه ، فترك ثديها فقال : اللهم اجعلني مثلها فقالت : لم ذاك ؟ فقال : الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون : سرقت ، زنت ولم تفعل . رواه البخاري في صحيحه في كتاب ذكر بني إسرائيل واللفظ له . ومسلم في كتاب بر الوالدين .

٢- قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار ، وانفراج الصخرة عنهم بعد أن سدت عليهم الباب وهو حديث متفق عليه : عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم ، حتى أروا المبيت إلى الغار ، فدخلوه فأنحدرت صخرة من الجبل فسدت الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فقال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بى فى طلب شئ يوماً ، فلم أرح عليهما حتى ناما ، ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدرح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشرياً غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة . فأنفرجت شيئاً لا يستطيعون

الخروج » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وقال الآخر : اللهم إنه كانت لى بنت عم ، كانت أحب الناس إليّ ، فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألت بها سنة من السنين فجاءتني ، فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تقض الخاتم إلا بحق ، فتخرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلي وتركت الذهب الذى أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها » . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراً ، فأعطيتهم أجراً غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله : أد إلى أجرى ، فقلت له : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله لا تستهزئ بى ، فقلت : إنى لا استهزئ بك ، فأخذه كله ، فاستاقه ، فلم يترك منه شيئاً . اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » . أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاجارة واللفظ له ومسلم فى كتاب الذكر .

٤- قصة البقرة التى كلمت صاحبها . وهو حديث صحيح مشهور : روى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل راكب على بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه البقرة فقالت : إنى لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تتكلم ! فقال النبي صلى الله عليه

وسلم : أمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر . (رواه البخاري في صحيحه) في كتاب المزارعة ، وسلم في كتاب فضائل الصحابة ، والترمذي في كتاب المناقب .

الدليل عليها من آثار الصحابة : وقد نقل عنهم الكرامات الشيء الكثير سنحاول ذكر بعض منها بعون الله :

١- قصة أبي بكر رضى الله عنه مع أضيافه في تكثير الطعام ، حتى صار بعد الأكل أكثر مما كان وهو حديث صحيح في البخاري : أخرج البخاري أن أبا بكر كان عنده أضياف ، فقدم لهم الطعام فلما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته : « يا أخت بنى فراس ما هذا ؟ قالت : وقرة عيني لهنى [تعنى القصعة] أكثر منها قبل أن يأكلوا .. إلى آخر القصة .

٢- قصة عمر رضى الله عنه ، وهو على منبر المدينة ينادى بقائده : يا سارية الجبل ! وهو حديث حسن : قال التاج السبكي رحمه الله تعالى : « كان عمر رضى الله عنه قد أمر سارية بن زنيم الخلجي على جيش من جيوش المسلمين ، وجهزه على بلاد فارس ، فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها ، وكثرت جموع الأعداء ، وكاد المسلمون ينهزمون وعمر رضى الله عنه بالمدينة ، فصعد المنبر وخطب ، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته : [ياسارية الجبل ، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم] فاستمع الله تعالى سارية وجيشه أجمعين وهم على باب نهاوند صوت عمر ، فلجئوا إلى الجبل ، وقالوا هذا صوت أمير المؤمنين فنجوا وانتصروا » .

٢- قصة عثمان رضى الله عنه مع الرجل الذى دخل عليه ، فأخبره عما أحدث فى طريقة من نظرة إلى المرأة الأجنبية : ذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى فى الطبقات وغيره : أنه دخل على عثمان رضى الله عنه رجل كان قد لقي امرأة فى الطريق فتأملها ، فقال له عثمان رضى الله عنه : يدخل أحدكم وفى عينيه أثر زنا ، فقال الرجل : أوهى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ولكنها فراسة المؤمن » ، وإنما أظهر عثمان هذا تأديباً للرجل وزجراً له عن شئ فعله .

٤- سماع على بن أبى طالب رضى الله عنه كلام الموتى : أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب قال : « دخلنا مقابر المدينة مع على رضى الله عنه فنادى : يا أهل القبور السلام عليكم ورحمة الله تخبرونا بأخباركم أم نخبركم ؟ قال : فسمعنا صوتاً : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين ، خبرنا عما كان بعدنا . فقال على : أما أزواجكم فقد تزوجن ، وأما أموالكم فقد اقتسمت ، والأولاد قد حشروا فى زمرة اليتامى ، والبناء الذى شيدتم فقد سكنه أعداؤكم ، فهذه أخبار ما عندنا ، فما أخبار ما عندكم ؟ فأجابه ميت : قد تخرقت الأكفان وانتثرت الشعور وتقطعت الجلود ، وسالت الأحداق على الخلود ، وسالت المناخر بالقريح والصديد ، وما قدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون » .

هذا والحديث بقية أدمر الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب الدعوات .

❶ الدليل عليها من آثار الصحابة (تابع) :

٥- قصة عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما اللذين أضاعت لهما عصا أحدهما خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة وهو حديث صحيح أخرجه البخارى : أخرج الحاكم فى كتاب معرفة الصحابة وصححه البيهقى وأبو نعيم وابن سعد ، وهو فى البخارى من غير تسمية الرجلين : « أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر رضى الله عنهما كانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة حتى ذهب من الليل ساعة وهى ليلة شديدة الظلمة ، خرجا ويبد كل واحد منهما عصا فأضاعت لهما فمشيا فى ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاعت للآخر عصاه ، فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ أهله » .

٦- قصة خبيب رضى الله عنه فى قطف العنب الذى وجد فى يده يأكله فى غير أوانه وهو حديث صحيح : أخرجه البخارى فى صحيحه فى باب غزوة الرجيع عن أبى هريرة رضى الله عنه أن خبيباً كان أسيراً عند بنى الحارث بمكة ، فى قصة طويلة ، وفيها أن بنت الحارث كانت تقول : ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، لقد رأيت ياكل من قطف العنب ، وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثق فى الحديد ، وما كان إلا رزقه الله » .

٧- قصة سعد وسعيد رضى الله عنهما ، وهى أن كلا منهما دعا على من كذب عليه ، فاستجيب له . (أخرجه البخارى ومسلم) .

الأول منهما : سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، فقد أخرج الشيخان والبيهقى عن طريق عبد الملك بن عمير عن جابر رضى الله

عنه قال : شكنا ناس من أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة ، فطيف به في مساجد الكوفة ، فلم يقل له إلا خير حتى انتهى إلى مسجد ، فقال رجل يدعى أبا سعدة : أما إذا أنشدتنا فإن سعدا كان لا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ، فقال سعد : اللهم إن كان كاذباً فأطل في عمره ، وأطل فقره وعرضه للفتن ، قال ابن عمير : فرأيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وقد افتقر يتعرض للجوارى في الطريق يغمزهن ، فإذا قيل له : كيف أنت ؟ يقول شيخ كبير مفتون أصابتنى دعوة سعد .

والثاني : سعيد بن زيد رضى الله عنه ، فقد أخرج مسلم في كتاب المساقاة عن عروة بن الزبير رضى الله عنه : « أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد ابن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم ، فقال سعيد : أنا كنت أخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أرضين » فقال له مروان : لا أسألك بينه بعد هذا ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها واقتلها في أرضها ، قال : فما ماتت حتى ذهب بصرها ، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت » .

٨- قصة عبور العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه البحر على فرسه وتبع الماء بدعائه أخرجه ابن سعد في الطبقات : كان أبو هريرة يقول : « رأيت من العلاء بن الحضرمي ثلاثة أشياء لا أزال أحبه

أبدأ ، رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارين ، وقدم من المدينة يريد البحرين ، فلما كانوا بالدهناء نفذ مأوهم فدعا الله فنبح لهم من تحت رجله فارتوا وارتحلوا ، وأنسى رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه ولم يجد الماء ، وخرجت معه من البحرين إلى صف البصرة فلما كنا بلياس مات ونحن على غير ماء ، فأبدى الله لنا سحابة فمطرنا فغسلناه وحفرنا له بسيوفنا ولم نلحد له ، فرجعنا لنلحد له فلم نجد موضع قبره .

٩- قصة خالد بن الوليد رضى الله عنه فى شربة السم . أخرجه البيهقي وأبو نعيم والطبراني وابن سعد بإسناد صحيح : « نزل خالد بن الوليد الحيرة ، فقالوا له : احذر السم لا تسقيك الأعاجم فقال : أنتوني به ، فأخذه بيده وقال بسم الله وشربه فلم يضره شيئاً » .

١٠- إضاعة أصابع حمزة الأسلمى رضى الله عنه فى ليلة مظلمة : أخرج البخارى فى التاريخ عن حمزة الأسلمى رضى الله عنه قال : « كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفره ، فتفرقنا فى ليلة ظلماء ، فأضاعت أصابعى حتى جمعوا ظهري وما هلك منه وإن أصابعى لتتير » .

١١- قصة أم أيمن وكيف عطشت فى طريق هجرتها ، فنزل عليها دلو من السماء فشربت رواه أبو نعيم فى الحلية . عن عثمان بن القاسم قال : « خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وهى ماشية ليس معها زاد وهى صائمة فى يوم شديد الحر ، فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت

من شدة العطش ، قال : وهى بالروحاء أو قريباً منها ، فلما غابت الشمس قالت : إذا أنا بحفيف شئ فوق رأسى ، فرفعت رأسى ، فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء أبيض ، قالت : فدنا منى حتى إذا كان حيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت ، قالت : فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف فى الشمس كى أعطش وما عطشت بعدها .

١٢- تسبيح القصعة التى أكل منها سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضى الله عنهما وسماعهما التسبيح : أخرج البيهقي وأبو نعيم عن قيس قال : « بينما أبو الدرداء وسلمان يسأكلان من صحيفة إذ سبحت وما فيها » .

١٣- سماع بعض الصحابة سورة الملك من قبر بعد أن ضرب خباء فوقه : رواه الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ضرب بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم خباءة على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : إني ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذى بيده الملك حتى ختمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هى المانعة ، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » .

١٤- قصة سفينة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد اخرجته الحاكم فى المستدرک وأبو نعيم فى الحلية : عن محمد بن المنكدر ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها ، فركبت لوحاً من ألواحها ، فطرحني اللوح في أجمة فيها الأسد ، فاقبل إلى يريدني ، فقلت : يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطأطأ رأسه وأقبل إلى ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق ، وهمهم فظننت أنه يودعني ، وكان ذلك آخر عهدي به .

هذا غيظ من فيض ، وقليل من كثير مما ورد عن كرامات صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توالى ورود الكرامات الكثيرة على يد الأولياء في عهد التابعين وتابعى التابعين إلى يومنا هذا ، مما يصعب عدده ويضيق حصره . وقد ألف العلماء في ذلك مجلدات كثيرة وصنف أكابر الأئمة منهم مصنفات في إثبات الكرامة للأولياء وصار ذلك علماً قوياً يقينياً ثابتاً لا تتطرق إليه الشكوك أو الشبهات .

قال العلامة التاج السبكي في الطبقات الكبرى : للكرامة أنواع :

النوع الأول : ١- إحياء الموتى

٢- كلام الموتى

٣- المشي على الماء

٤- انقلاب الأعيان

٥- انزواء الأرض

٦- كلام الحيوانات والجسمادات

٧- إبراء العسل

٨- طاعة الحيوان

٩- طي الزمان

١٠- نشر الزمان

١١- إمساك اللسان عن الكلام وانطلاقه ...

إلى أن عد خمسة وعشرين نوعاً وذكر لكل نوع مثلاً وحكاية جرت للعلماء ومشايخ الصوفية ، فراجعها هناك تجده مفصلاً ،

وقد يتسائل بعضهم : لماذا كانت كرامات الصحابة على كثرتها أقل من كرامات الأولياء الذين جاءوا بعد عصر الصحابة ؟ ..

ويجيب على ذلك تاج الدين السبكي في الطبقات بقوله : « الجواب : ما أجاب به الإمام الجليل أحمد بن حنبل رضى الله عنه حين سئل عن ذلك ، فقال : أولئك كان إيمانهم قوياً ، فما احتاجوا إلى زيادة شئ يقوون به ، وغيرهم كان إيمانهم ضعيفاً لم يبلغوا إيمان أولئك فقروا باظهار الكرامات لهم » .

❦ الحكمة من إجواء الكرامات على يد الأولياء :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكرم أحبابه وأوليائه بأنواع من خوارق العادات تكريماً لهم على إيمانهم وإخلاصهم ، وتأييداً لهم في جهادهم ونصرتهم لدين الله ، وإظهاراً لقدرة الله تعالى ، ليزداد الذين آمنوا إيماناً ، وبياناً للناس أن القوانين الطبيعية والنواميس الكونية إنما هي من صنع الله وتقديره ، وأن الأسباب لا تؤثر بذاتها ، بل الله تعالى يخلق النتائج عند الأسباب لا بها كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

وقد يقول معترض : إن تأييد الحق ونشر دين الله لا يكون بخوارق العادات ، بل يكون بإقامة الدلائل المنطقية والبرهان العقلي .

فنقول : نعم لا بد من نشر تعاليم الإسلام بتأييد العقل السليم والمنطق الصحيح والحجة الدامغة ، ولكن التعصب والعناد يدعوان إلى أن تخرق العادات بالكرامات كما اقتضت حكمة الله أن يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزات إظهاراً لصدقهم ، وتأييداً لهم في دعوتهم ، وحملات للعقول المتحجرة والقلوب المقفلة أن تخرج من جمودها وتتحرر من تعصبها ، فتفكر تفكيراً سليماً مستقيماً يوصلها إلى الإيمان الراسخ واليقين الجازم .

ومن هنا يظهر أن الكرامة والمعجزة تلتقيان في بعض الحكم والمقاصد إلا أن الفارق بينهما أن المعجزة لا تكون إلا للأنبياء عليهم السلام ، والكرامة لا تكون إلا للأولياء ، وكل كرامة لولى معجزة لنبي .

ما هو الفرق بين الكرامة والاستدراج ؟ هذا ما سنحاول توضيحه في المقال القادم إن شاء الله وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين .

❶ الفرق بين الكرامة والاستدراج :

لا بد من التنبيه إلى الفرق بين الكرامة والاستدراج ، وذلك لأننا نشاهد بعض الفسقة المنسوبين للإسلام تجرئ على يديهم خوارق العادات مع أنهم مجاهرون بالمعصية ، منحرفون عن دين الله تعالى ، فالكرامة لا تكون إلا على يد ولى ، وهو صاحب العقيدة الصحيحة المواظب على الطاعات ، المتجنب للمعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات ، وهو الذى قال الله تعالى فيه : « ألا أن أولياء الله لا

خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » . وأما ما
يجرى على يد الزنادقة والفسقة من الخوارق كقطع الجسم بالسيف
وأكل النار والزجاج وغير ذلك ، فهو من قبيل الاستدراج .

ثم إن الولي لا يسكن إلى الكرامة ، ولا يتفاخر بها على غيره ، قال
العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير : « إن صاحب الكرامة لا
يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى
أشد وحذره من قهر الله أقوى ، فإنه يضاف أن يكون ذلك من باب
الاستدراج .

وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه ، ويظن
أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقاً لها ، وحينئذ يحتقر غيره
ويتكبر عليه ، ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ، ولا يخاف سوء
العاقبة ، فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك
على أنها كانت استدراجاً لا كرامة ، فلماذا قال المحققون : « أكثر ما
اتفق من الانقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات ، فلا
جرم أن ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من أنواع البلاء
، والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه » ثم
ذكرها حتى عد إحدى عشرة حجة نذكر منها واحدة .

قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى : « إن من اعتقد في
نفسه أنه صار مستحقاً للكرامة بسبب عمله ، حصل لعمله وقع عظيم
في قلبه ، ومن كان لعمله وقع عنده كان جاهلاً ولوعرف ربه لعلم أن كل
طاعات الخلق في جنب جلال الله تقصير ، وكل شكرهم في جنب لآلئ
ونعمائه قصور . وكل معارفهم وعلومهم في مقابلة عزته حيرة وجهل ،

رأيت في بعض الكتب أنه قرأ المقرئ في مجلسي الأستاذ أبي على الدقاق قوله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » . فقال علامة أن الحق رفع عملك أن لا يبقى عندك « أي عملك فإن بقي عملك في نظرك فهو مدفوع ، وإن لم يبق معك فهو مرفوع » .

وعلى هذا فإننا حين نرى أحدا من الناس يأتي بخوارق العادات لا نستطيع أن نحكم عليه بالولاية ولا يمكن أن نعتبر عمله هذا كرامة حتى نرى سلوكه وتمسكه بشريعة الله . قال أبو زيد رحمه الله تعالى : « لو أن رجلا بسط مصلاة على الماء وتربع في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي »

❶ موقف الصوفية من الكرامات :

إن بعض المنحرفين على الصوفية يدعى أن مقصد الصوفية من سيرهم هو الوصول إلى الكرامات وهم في هذا انما يترجمون عما في نفوسهم من أمراض خبيثة وعلل دفينية ، مع أننا نرى الصوفية يهتمون بتزكية النفس وتخليصها من صفاتها المذمومة كالرياء والنفاق وتحليتها بالصفات العالية وأن يكون سيره معهم بعيداً عن العلل والغايات ولا يبتغي إلا وجه الله تعالى ورضاه ، كما نراهم يستترون من الكرامة بعدا عن شبهة الرياء .

قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رحمه الله تعالى : « من لم يكن كارهاً لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب ، وسترها عليه رحمة فإن من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شيء من الآيات وخوارق العادات له ، بل تكون نفسه عنده أقل واحقر من ذلك فإذا أفنى عن ارادته جملة فكان له تحقيقه في رؤية

نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود اللطاف والتحقيق
بمراتب الصديقين » .

وقال على الخواص رحمه الله تعالى : « الكمل يخافون من وقوع
الكرامات على أيديهم ، ويزدادون بها وجلأ وخوفاً لاحتمال أن تكون
استدراجاً » .

ثم إن الصوفية يمنعون إظهار الكرامة إلا لفرض صحيح ، كنصرة
شريعة الله أمام الكافرين والمعاندين وكإبطال سحر الكافرين والضالين أو
الفسقة المشعوذين الذين يريدون أن يضلوا الناس عن دينهم ويشككهم
في عقائدهم وإيمانهم . أما إظهارها بدون سبب مشروع فهو مذموم لما
فيه من حظ النفس والمفاخرة والعجب .

قال الشيخ محي الدين رحمه الله تعالى : « ولا يخفى أن الكرامة
عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس ، إلا إن كانت لنصر
دين أو جلب مصلحة لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم . لا هم ، هذا
مشهدهم ، وليس وجد الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على
يدهم دون غيرهم ، فإذا أحيا كبشاً مثلاً أو دجاجة فإنما ذلك بقدرة الله
لا بقدرتهم ، وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب » .

ثم إن الصوفية يعتبرون أن أعظم الكرامات هي الاستقامة على
شرع الله تعالى . قال أبو القاسم القشيري رحمه الله تعالى في رسالته
: « وأعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات
والحفظ من المعاصي والمخالفات » .

وذكر عند سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى الكرامات

فقال : « وما الآيات وما الكرامات ؟! أشياء تنقضى لوقتها ، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود . »

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : « الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ، ومرجعها أمران : صحة الإيمان بالله عز وجل ، واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً وباطناً ، فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا عليهما ، ولا تكون له همة إلا في الوصول إليهما . وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين ، إذ قد يرزق بها من لم تكتمل استقامته وقد يرزق بها المستدرجون . »

وقال : « إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان : كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة ، فمن أعيطهما ثم جعل يشتاقي إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب ، ليس ذا حظ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاقي إلى سياسة الدواب وخلع الرضا . »

وقال الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله تعالى : « واعلم أن الكرامة على قسمين : حسية ومعنوية ، ولا تعرف العامة إلا الحسية مثل الكلام على الخاطر ، والإخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية ، والأخذ من الكون ، والمشى على الماء ، واختراق الهواء ، وطى الأرض والاحتجاب عن الأبصار ، وإجابة الدعاء في الحال ونحو ذلك . فالعامة لا تعرف من الكرامات إلا مثل هذا . وأما الكرامة المعنوية فلا يعرفها إلا الخواص من عباد الله تعالى ، والعامة لا تعرف ذلك وهي أن يحفظ على

العبد آداب الشريعة وأن يوفق لفعل مكارم الأخلاق واجتناب سفاسفها ،
والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها والمصارعة إلى الخيرات
وإزالة الغل والحقد من صدره للناس والحسد وسوء الظن وطهارة القلب
من كل صفة مذمومة ، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس ، ومراعاة حقوق الله
تعالى في نفسه وفي الأشياء وتفقد آثار ربه في قلبه ومراعاة انفاسه في
دخولها وخروجها فيبتلقاها بالأدب إذا وردت عليه ويخرجها وعليها حلة
الحضور مع الله تعالى ، فهذه كلها عندنا كرامات الأولياء المعنوية التي لا
يدخلها مكر ولا استدراج .

ثم أن السادة الصوفية لا يعتبرون ظهور الكرامات على يد الولي
الصالح دليلاً على أفضليته على غيره . قال الإمام الياقعي رحمه الله
تعالى : « لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل
من ليس له كرامة منهم ، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم
أفضل من بعض من له كرامة ، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين
صاحبها ، ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته ، وإنما
الأفضلية تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى » .

كما أن الصوفية يعتبرون أن عدم ظهور الكرامة على يد الولي
الصالح ليس دليلاً على عدم ولايته .

قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته : « لو لم يكن
للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدر عدمها في كونه ولياً » . وقال
شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه لرسالة القشيري عند هذا
الكلام : « بل قد يكون أفضل ممن ظهر له كرامات ، لأن الأفضلية إنما
هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة » .

شريعة العدل والرحمة

« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه »

ما أشد حاجة البشرية إلى الإسلام الذي يناشد القلوب جمعاء ،
ويتنادى على النفوس بحزم وصرامة أن تلتزم جانب الله فتعدل في جميع
أمورها . وفي هذا يقول سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن
يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن
تلوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

وتبلغ درجة العدل في الإسلام أنه ينهى عن ظلم الأعداء ، وأن
دعوة المظلوم لها خطرهما ولو كانت من كافر . فقد قال رسول الله عليه
الصلاة والسلام : « اتق دعوة المظلوم ، ولو كافراً فعليه كفره » .

وقرر القرآن الكريم العدالة ، ولو كان الخصم على غير شريعة
الله : قال سبحانه في صورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا ،
هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » .

ولمكانة العدل في الإسلام قال الإمام على كرم الله وجهه : بنى
الإسلام على أربع دعائم : اليقين والصبر والعدل والجهاد .

وما أجل أثر هذه الآية الكريمة الجامعة : « إن الله يأمر بالعدل
والإحسان وإيتاء ذى القربى .. إلى آخر الآية » .

وقد خاطب الله كل من ولى أمراً من أمور المسلمين بهذا الخطاب الصريح فى دلالاته فقال سبحانه : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تكلم عن المسئولية وزعمها توزيعاً عادلاً : عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

❶ حرمة الدماء فى الإسلام :

إن من أعظم الأشياء حرمة فى شريعة الله تعالى لتحقيق العدل والرحمة : حرمة الدماء ، ولذلك جاء الوعيد والتهديد شديداً لمن اعتدى على دماء الناس ، فقد قال سبحانه : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنة ، وأعدله عذاباً عظيماً » . وجاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً » . وبلغ من تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من الاعتداء على الدماء أنه قال : « آدمى بنىان الرب ، ملعون من هدمه » . وقال : من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه : آيس من رحمة الله » . وقد أمر الله تعالى بالتبين عندما يريد المسلمون أن يضربوا فى الأرض ، حتى لا يعتسوا على أحد ظلماً وعدواناً ، فقال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبیینوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام

لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة » .

⊙ حرمة المال في الإسلام :

وإذا كانت هذه حرمة الدماء ، فإن حرمة المال لا تقل عنها خطراً .
يقول سبحانه وتعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى
الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

ويؤكد هذا المعنى في موضع آخر فيقول : يا أيها الذين آمنوا لا
تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .
ويسمى المال الحرام خبيثاً فيقول : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو
أعجبك كثرة الخبيث ، فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون » .

التحذير من أكل مال اليتيم : ويخص بالذكر مال اليتامى نظراً لما
له من حساسية خاصة ، فيقول جل شأنه : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حوباً
كبيراً » . ويرشد الوصي على مال اليتيم إذا قضى لليтим حاجة في
سبيل إنماء ماله ، فيقول سبحانه : « وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا
لهم قولا معروفاً » ثم يقول : « فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم
أموالهم ، ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً
فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف » . ثم يبين العاقبة الوخيمة
والمآل السيئ لأكله مال اليتيم فيقول جل شأنه : « إن الذين ياكلون
أموال اليتامى ظلماً إنما ياكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيراً »

وإذا كان الحرام خبيثاً ، فقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم

عاقبة أصحاب هذا الخبيث فقال : « إن رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق ، فلهم النار يوم القيامة » . (رواه البخارى) .

وهذا رجل يسمى « ابن التبية » يستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم ، وهذا أهدي إلى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد : فإننى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ، فيأتى فيقول هذا لكم ، وهذا هدية أهديت إلى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمّه حتى تاتيه هديته إن كان صادقاً ؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حق إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تبعر ، ثم رفع يديه حتى رأى بياض إبطيه ، فقال : اللهم هل بلغت » متفق عليه .

وهكذا يخلق الإسلام باب الرشوة التى تقدم للموظف باسم الهدية أو بئى اسم آخر ، ولكنها فى الحقيقة الرشوة بأدق معانيها ، ، إذا أنه يتقاضى على عمله مرتباً وأجراً معلوماً .

رد المظالم إلى أهلها : كذلك يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك من إضاعة المظالم ، فيأمر بالمبادرة بأدائها قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فيقول : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » . (رواه البخارى) .

وهذا نموذج آخر من نماذج حرمة المال : عن عبد الله بن عمرو بن

العاص رضى الله عنهما قال : كان على نفل النبي صلى الله عليه وسلم رجل يقال له « كركرة » فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هو فى النار » فذهبوا ينظرون إليه ، فوجدوا عبادة قد غلبها » (رواه البخارى) . ومعنى غلبها : أى خان المسلمين فأخذها على سبيل الغلول ، وهو خيانة مال الغنيمة .

أخا الإسلام : لا تحقرن من الظلم شيئاً ، ولو كان قليلاً ، ما دام أخذه على غير وجه حق ، فقد روى أبو أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اقتطع من حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة ، فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيباً من أراك » (رواه مسلم) .

❶ من المفلس ؟

بعد هذا الطواف الشامل حول شريعة العدل والرحمة نأتى إلى الحديث الذى سأل الرسول صلى الله عليه وسلم فيه أصحابه عن المفلس : من هو ؟ ... وفى هذا الحديث معيار دقيق وميزان صادق للإفلاس من العمل الصالح ، وهو يصور موقف المفلسين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم . ولنتسمع إلى السؤال نفسه من سيد الخلق ، والإجابة عليه من الصحابة ، وبيان الجواب الحقيقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف

هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه : أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » رواه مسلم .

من أجل ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يناشد النفس البشرية الضمير اليقظ والإحساس المرهف ، وينادى على القلب الذى يحس عظمة الله تعالى ويخشى سلطانه ، فيقول للخصوم الذين يطالب كل منهم بحقه ، يقول لهم هذا الدرس الواعى البصير : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضى له بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه وإنما أقطع له قطعة من النار » . متفق عليه . ألحن أى أعلم .

صلى عليك الله يا علم الهدى فأنث النعمة المسداة ، والرحمة المهداة
لأنك جئت بشريعة العدل والرحمة

نماذج من أنذاذ الرجال

❖ أبو حازم :

ها نحن نقدم بين يدي القارئ أحد علماء الحق الذين دخلوا التاريخ من أشرف أبوابه وأنصعها وأنقاها وأطهرها . إنه « أبو حازم » وانتترك المؤرخين يحدثوننا عنه وانتصت إلى هذه المواقف التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن قلب صاحبها عامر يحب الله فممن خاف الله خوف الله منه جميع خلقه ومن لم يخف الله خوفه الله من جميع خلقه ومن أرضى الله بأسخاط الناس كفاء الله ما بين الناس ومن أسخط الله بإرضاء الناس وكله الله إلى الناس ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن تزين للناس بما يعلم الله من خلاف ذلك هتك الله ستره وأبدى فعله فاللهم اغننا بالفقر إليك ولا تفقرنا بالاستغناء عنك .

لما دخل سليمان بن عبد الملك مكة حاجا قال : هل بها رجل أترك عدة من الصحابة ؟ قالوا : نعم أبو حازم فأرسل إليه فلما أتاه قال : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ قال : والله ما عرفتني قبل هذا ولا أنا رأيك فأى جفاء رأيت مني ؟ فالتفت سليمان إلى الزهري قائلا : أصاب الشيخ وأخطأت أنا يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟ فقال : عمرتم الدنيا وخربتم الآخره فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب . قال : صدقت . فقال : يا أبا حازم ليت شعري مالنا عند الله تعالى غدا ؟ قال : أعرض عمالك على كتاب الله عز وجل . قال : وأين أجده من كتاب الله تعالى ؟ قال : قال الله تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم »

قال سليمان : فأين رحمه الله ؟ قال أبو حازم : إن رحمة الله قريب من

المحسنين .

قال سليمان : متى تذكرنا يا أباحازم . قال له : يوم ننسى الله .

قال سليمان : من شر الناس يا أباحازم . قال : من باع آخرته بدنياه .

قال : فمن شر منه ؟ قال : من باع آخرته بدنياه غيره .

قال له : فما أطيب الطيبات ؟ قال : العافية . قال فما أمر المرات .

قال : الحاجة إلى الناس .

قال : وأي شيء أثقل من السماوات والأرض ؟ قال : تهمة المظلوم .

قال : سليمان ليت شعري كيف العرض على الله غدا ؟ قال أبوحازم :

أما المحسن كالغائب يقدم على أهله وأما المسئ كالعبد الأبق يقدم به

على مولاه . فبكى سليمان واشتد بكاءه ثم قال : يا أباحازم كيف لنا أن

نصلح ؟ قال : تدعون عنكم الصلف (الكبر) وتتمسكون بالمروعة

وتعدلون .

قال : يا أباحازم وكيف المأخذ من ذلك ؟ قال : تأخذه بحق وتضعه

بحق في أهله .

قال : ما أعدل العدل ؟ قال : كلمه صدق عند من ترجوه وتخافه .

قال : فما أفضل الصدقة ؟ قال : جهد المقل إلى يد البائس الفقير

لا يتبعها من ولا أذى .

قال : ما أسرع الدعاء إجابة ؟ قال : دعاء المحسن للمحسنين .

قال : يا أبا حازم من أكرس الناس ؟ قال : رجل ظفر بطاعة الله تعالى ثم دل الناس عليها . قال : يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا وتصيب منك : قال كلا ولم ؟ قال : إني أخاف أن أركن إليكم قليلا فيزيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا يكون لي منه نصير . قال : يا أبا حازم أرفع الي حاجتك قال : نعم تدخلني الجنة وتخرجني من النار قال : ليس ذلك الي قال : فمالي حاجة سواها . قال : يا أبا حازم أوصني قال : نعم سوف أوصيك وأوجز نزه الله تعالى وعظمه ان يراك حيث نهاك او يفقدك حيث أمرك ثم قام فقال سليمان : يا أبا حازم هذه مائة دينار أنفقها ولك عندي أمثالها كثير . فرمى بها وقال : والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسى ؟

إني أعزك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلا وردى عليك بذلا !! إن كانت هذه المائة دينار عوضا عما حدثتك ، فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطراب أحل منه وإن كانت من مال المسلمين ، فلا حاجة لي فيها ، إن بنى أسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقوى ، حتى كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم فلما نكسوا وسقطوا من عين الله تعالى ، وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علمائهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم في دنياهم .

❶ سعيد بن المسيب :

إنه من العلماء الذين عرفوا الله فعرفهم الله وأحبهم الله فأحبوه .

يرسل إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يخطب ابنته الرباب بنت سعيد لابنته وولى عهده الوليد بن الملك . فيدخل منسوب عبد الملك ، هشام

بن اسماعيل على سعيد وهو يلقي العلم فى مسجد الرسول ، صلوات
الله وسلامه عليه ، فلما فرغ سعيد من درسه انتحى به هشام جانبا ،
وعرض عليه ما أمره به عبد الملك وبين نور الوعد ونيران الوعيد أخذ
هشام يصول ويجول ويتوهج ويتأجج ويرغى ويذبد ، جعل لسعيد الأرض
خضراء إن هو أجاب كما جعلها نارا تلتظى إن هو رفض وأبى ، وأخيرا
رفع سعيد رأسه ونظر إليه وقال له : أبلغ عبد الملك أنتنى لا أقبل أن
تصير ابنتى زوجة لابنه فأتى معها يوم القيامة مسلسلين إلى نار جهنم ،
وألح هشام فى العرض والإغراء وأصر سعيد على الرفض والإباء وقال
له : ما عليك إلا البلاغ ، وتوجه سعيد إلى بيته فوجد ابنته تقرأ القرآن ،
قال : يا ابنتى كيف حالك مع كتاب الله ؟ قالت : يا أبتى وقفت عند قوله
تعالى « ربنا أتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »
لقد عرفت حسنة الآخرة وهى الجنة فما حسنة الدنيا ؟ ، قال لها
يا رباب : حسنة الدنيا الزوجة الصالحة للرجل الصالح والرجل الصالح
للزوجة الصالحة ، فماذا حدث ؟ اسمع إلى ماحدث إنه عجيب ومهيب
وعظيم ورهيب وجليل ، عن عبد الله بن أبى وداعة قال : كنت أجالس
سعيد بن المسيب فتفقدنى أياما فلما أتيتة قال : أين كنت ؟ قلت توفيت
أهلى فاشتغلت بها قال هلا أخبرتنا فشهدتها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم
فقال : هل استحدثت امرأة ؟

فقلت يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وما أملك إلا درهمين أو

ثلاثة

فقال : أنا ، قلت : وتفعل ؟ قال نعم ، فحمد الله تعالى ، وصلى على
النبي صلى الله عليه وسلم وزوجنى على درهمين أو قال ثلاثة ، قال :

فقمتم وما أدري ما أصنع من الفرح ، فعدت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن أخذ ، وممن أسستدين ، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي فأسرجت وكنت صائما ، فقدمت عشاءى لأفطر . وكان خبزاً وزيتاً وإذا بأبى يقرع فقلت : من هذا ؟ قال سعيد . قال : تفكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب وذلك أنه لم يمر أربعين سنة إلا بين داره والمسجد . فخرجت إليه ، فإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه بداله (أى رجع عن رأيه) فقلت : يا أبا محمد لو أرسلت إلى لائيتك ، فقال : لا أنت أحق أن تؤتى . فقلت : ماذا تأمر . قال : إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت فكرهت أن تبين الليله وحدك وهذه امرأتك وإذا هى قائمة خلفه فى طوله فدفعها فى الباب ورده . وقال : ثم دخلت بها فإذا هى أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى وأعلمهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج .

وجاء اليوم الذى تولى فيه الوليد أمور المسلمين وأصبح أميراً للمؤمنين . وذات يوم سافر الوليد إلى المدينة المنورة وكان على إمرتها عمر بن عبد العزيز ودخل الوليد وعمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيه سعيد بن المسيب فالتقى الوليد على سعيد السلام فرد سعيد السلام وهو جالس . قال الوليد لعمر أرأيت إلى الرجل يرد السلام وهو جالس قال له عمر : لعله لم يعرفك فدنا الوليد منه وقال السلام عليك يا سعيد ورحمة الله أنا الوليد بن عبد الملك ومد يده إلى سعيد مصافحاً ، فصافحه سعيد وهو قاعد وقال : إنما يقوم الناس لرب العالمين .. فقال الوليد لعمر: أتره لم يعرفنى بعد ذلك يا عمر إن سعيداً رجل خاف الله فخوف الله منه جميع خلقه وانصرف .

هؤلاء رجال أصلحوا لله سرائرهم فأصلح الله علانيتهم ، بلغت بهم عزة الإيمان أن أحدهم كان ينام على الطوى ويقول : نزع بحرين بغريالين وحفر بثرين بإبرتين وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين خير لي أن أقف على باب لثيم يضيع فيه ماء عيني...

نعم ! كانوا يبيتون على الطوى ويقولون نحن في سعادة لو علمت بها الملوك لجالدتنا عليها بالسيوف . إنما أخذوا تلك الدروس النافعة من أستاذ الإنسانية الأكبر وقائد المسلمين الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الذي عرضت عليه الدنيا بما فيها من متاع وزخارف وعرضت عليه الجبال نفسها لتكون له ذهباً وفضة فقال قولته الشهيرة : بل أجوع يوماً فأنكرت وأشبع يوماً فأنشكرت .

صلى عليك الله يا علم الهدى وصلى الله على آل بيتك الأطهار وأصحابك الأخيار، ومن تبعك بإحسان إلى يوم الدين .

نماذج من أفذاذ النساء

كما عرضنا فيما مضى نماذج لأبطال الرجال فإننا يشرفنا كثيرا أن نعرض لبعض المسلمات اللاتي نهلن من المناهل العذب المورودة من النبع الصافي وضربن المثل الأعلى في الشجاعة والصبر والإقدام والحكمة .

❁ من هؤلاء النساء الخنساء :

وما أدراك ماهي ؟ حظها من الرفعة حظها ومكانتها في الإسلام مكانتها ، ولندع التاريخ يحدثنا عنها : جاء في كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ماملخصه : حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فجمععتهم ليله المعركة وقالت لهم : يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وإنكم لبنور رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم . وذكرتهم بآيات الوعد وبجزيل الثواب للصابرين في مواطن القتال ، وقالت لهم : فإن أصبحتم غدا - إن شاء الله - سالمين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، فإذا رأيتم الحرب شمרת عن ساقها فتييموا وطيسها تظفروا بالخلد والكرامة في دار الخلد والمقامة .

فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وياشروا القتال حتى قتلوا كلهم فلما بلغ الخبر الخنساء أمهم قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .

❶ أسماء بنت أبي بكر :

إنها مثال آخر من حياة النساء الصحابيات المناضلات والمجاهدات
أذكره ليكون فيه عبرة لنساء قادتنا وزعمائنا . كانت أسماء من أوائل من
أسلم وقد رشحها أبوها أبو بكر لأخطر الأعمال خلال هجرته في
صحبة الرسول صلى عليه وسلم إلى المدينة سرا . فقد كان لها دور
هام فيها فكانت تحمل الزاد والماء للرسول وصاحبه أثناء اختفائهما في
الغار، وتنقل لهما أسرار وتطورات موقف زعماء قريش الذين كانوا
يبحثون عنهما ليقتلوهما . وجاء هؤلاء الزعماء إلى أسماء مرة بعد
خروج أبيها مع النبي مهاجرا وسألوها عن أبيها فقالت : لا أدري فلطمها
أبو جهل لطمه أطارت قرطها فاحتملت هذا الأذى في سبيل الله .

وقد سجل التاريخ موقفها الرهيب الذي لا يعرف له مثيل في حياة
الأمهات ، ذلك لما دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير خلال ثورته على
الأمويين في الحجاز الذين أرسلوا إليه الحجاج بجيش كبير لقتاله فدخل
على أمه أسماء وقد انقض عنه أنصاره بعد قتال مرير طويل فقال لها
مستشيرا : يا أماء خذلتى الناس حتى ولدى وأهلى فلم يبق معى إلا
اليمسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة . والقوم - أى
الأمويون - يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟

قالت أمة أسماء : أنت والله يا بنى أعلم بنفسك : إن كنت تعلم أنك
على حق وإليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك .. وإن كنت إنما
أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلك من قتل معك . وإن
قلت : كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت فليس هذا فعل الأحرار
ولا أهل الدين ! وكم خلدوك في الدنيا ؟ القتل أحسن والله لضربة

بالسيف فى عز أحب إلى من ضربه بسوط فى ذل ! .

قال لها : يا إماه إننى أخاف إن قتلونى أن يمثلوا بى .

قالت له فى إيمان صادق وعزم نادر : يابنى إن الشاة لا يضيرها
سلخها بعد الموت !

وخرج عبد الله مشحونا بنور الإيمان وصدق العزيمة اللذين
استمدهما من أمه فقاتل حتى قتل فى يومه وماتت أمه بعده بأيام .

هكذا ، فلتكن الأمهات مدرسة وقدره لتخريج أجيالا مؤمنة
برسالاتها تعمل بجد ويقين وإخلاص وتسعى لرضاء الله فى كل أعمالها
حتى الموت .

❶ نموذج آخر للمرأة المسلمة :

نموذج يعمل فى صمت وإخلاص تأدبت فى المدرسة المحمدية
وصار هذا التأدب هو نهج حياتها :

عن أنس رضى الله عنه قال : اشتكى ابن لأبى طلحة فمات ، وأبو
طلحه خارج البيت ولم يعلم بموته . فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت
شيئا ونحته فى جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحه قال : كيف الغلام ؟
قالت قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد أستراح . ثم قربت له العشاء ،
ووطأت الفراش . فلما أصبح اغتسل . فلما أراد أن يخرج أعلمته بموت
الغلام فصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم أخبره بما كان منها .
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لعله يبارك لكما فى ليلتكما ، فجاءهما
تسعة أولاد كلهم قرأوا القرآن .

هؤلاء هم الذين صدقوا الله وعده فأبوا ما عليهم لأنهم علموا أن هذه الدنيا ما هي إلا مقدمة لعالم البقاء فآثروا الآجل على العاجل وصدق فيهم قول الله تعالى : « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا »

وقال فيهم جل شأنه : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

محمد : الذي جعل من العبيد سادة (١)

هذه حقيقة ثابتة لا يجادل فيها إلا مكابر ، ولا يمارس في مضمونها إلا كل معتمد أثيم (يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصبر مستكبرا كأن لم يسمعها) .

وأولى بالذين يحاولون أن يجعلوا من مسألة الرق شبهة يثيرون غبارها على جلال الإسلام وجماله ، أولى بهم أن يرددوا هذه الحقيقة إذا أرادوا الإنصاف وطلبوا وجه الحق .. أولى بهم أن يقولوا إن محمدا هو الذي جعل من العبيد سادة ومن المستضعفين موجهين وقادة .

لقد كان مولده الشريف إيذانا بأنه محرر العبيد .. فقد كانت أول رضعة ، وأول جرعه لبن نزلت جوفه الشريف من جاريه لعمه أبى لهب تسمى « ثويبة » .. وكان من حسن الطالع وبشير اليمن أن هذه الجارية عندما ذهبت وأخبرت أبالهب بمولد السيد الجليل محمد صلى الله عليه وسلم فرح بهذا الخبر فرحا عظيما ، وكانت مكافأته : عتقها ، فصارت بسبب هذه البشرى الكريمة حرة تنشق نسيم الحياة الكريمة .. وكان مولده الشريف إيذانا وإعلاما بأن هذا المولود سيجعل من العبيد سادة ومن المستضعفين مفكرين وقادة .

وها نحن أولاء ننتقل بالحديث عن جارية أخرى .. إنها السيدة الجليلة « بركة الحبشية » المكنية « بأم أيمن » :

كانت أمة مملوكة للسيدة أمينة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لها سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه بعد موت أمه :

أنت أمى بعد أمى .. وقد أسلمت بعدما دخلت السيدة خديجة - رضى الله عنها - فى الإسلام .. إذ أن خديجة كانت أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم من النساء ، وأقامت « أم أيمن » بمكة تحتل أذى المشركين ، إلى أن جاءت الهجرة إلى المدينة ، فخرجت من مكة ماشية إليها ، وليس معها ماء تشربه ولا زاد تأكل منه ، وكان عندها قوة عجيبة على احتمال العطش والجوع ، حتى أنها كانت تصوم فى اليوم الحار ثم تطوف فى الشمس كي تعطش فلا يصيبها عطش !

أما جهادها فى الإسلام فقد كانت تقوم بسقى الجيش ، وتداوى الجرحى فى القتال . ومما حضرته من الغزوات : غزوة أحد ، وخيبر ، وكانتا من أهم غزوات النبي صلى الله عليه وسلم . هذا بالإضافة إلى أنها كانت من أكثر نساء المهاجرين حظا فى الشهداء من رجالهن : فقد تزوجت بعبيد بن زيد ، وأنجبت منه أيمن ، الذى مات شهيدا « يوم حنين » ويعد موت « عبيد » تزوجت بزيد بن حارثة ، وأنجبت منه أسامة بن زيد ، وقد مات زيد شهيدا فى « مؤته » فصبرت على فقد زوجها « زيد » وأبناها « أيمن » وكان « أسامة » غلاما ، فعكفت على تربيته والعناية به ، حتى جعلت منه رجلا يقود جيشا فيه من الأبطال مثل أبى بكر وعمر ، وكان آخر جيش أعده النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن « أسامة » قد جاوز العشرين سنة .

ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم كانت « أم أيمن » تبكيه كلما ذكرته ، ولا ينقطع بكاؤها عليه ، وقد قال أبو بكر لعمر : انطلق بنا لنزور أم أيمن كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ، فلما دخلا عليها بكت ، فقالا لها : ما يبكيك فما عند الله خير لرسوله ؟ فقالت :

أبكى لأن وحى السماء قد انقطع ! فهيجتهما على البكاء ، فجعلت تبكى ويكيان معها .

وليس هناك أسمى من هذه النفس التى تبكى انقطاع الوحى ، وتحزن بفقد الاتصال بالسماء فهى لا ترى إلا السعادة الروحية التى تصل بيننا وبين الملأ الأعلى ، وتفيض على أهل الأرض فتسمو بهم إلى موطنها . وقد ماتت (ام ايمن) بعد عشرين يوما من خلافة عثمان رضى الله عنه سنة ٦٤٣ م ارايت الى هذا الجلال وتلك العظمة فى هذه السيدة التى كانت مملوكة للرسول صلى الله عليه وسلم ، فامتدت يداها الكريمتان فأهداها نعمة الحرية ، وجعل منها السيدة التى تكلم الخليفة أبا بكر ، ووزير عدله عمر كلمه تجعلهما يكيان ويذرفان الدمع على انقطاع الوحى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ !

إن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذى جعل من العبيد سادة ، ومن المستضعفين أساتذة وقادة . ومن تلك النماذج أيضا :

❁ بلال بن رباح :

مؤذن رسول الله (وكفى بالأذان شرفا) :

أليس المؤذن هو الذى يرفع كلمه التوحيد عالية يشنف بها الأذان ، ويملا بها القلوب عزة وكرامة ؟

كان « بلال » عبدا مملوكا لأمية بن خلف ، ولاقى الأذى فى سبيل عقيدته ما لا يقوى عليه أحد غيره ، فوقف من التعذيب والتنكيل موقف

الجبل الأشم ، لا تحركه العواصف ، ولا تؤثر فيه الرياح القواصف ..
كان كلما اشتد على الأذى ، وتضاعفت أمامه الكروب : ازداد إيمانا على
إيمانه . بلغ من قسوة أمية بن خلف أنه كان يطرحه على رمضاء مكة
وقت الظهيرة ، حيث الشمس تضرب وجه الأرض بسياطها الحامية ،
ويسيل منها لعاب كالمهل يشوى الوجوه . ولا عجب ! فأمية عرفه التاريخ
بأنه رجل حديد اللسان ، حديد الوجه ، حديد القلب .. لو وزعت قسوة
قلبه على الناس ، ما بقى للرحمة سبيل إلى قلب واحد منهم .

كلما اشتد الأذى ببلال كان يردد هذا النشيد الخالد : أحد
أحد ، فرد صمد ، لا والد ولا ولد ! أجل يا بلال ! إن الله واحد في
ذاته لا شريك له ، واحد في صفاته لا نظير له .. إنه رب السماء
والفضاء والجبال والشجر .. إنه رب عزيز قادر ، له الجبين قد سجد .

ويردد « بلال هذه الكلمات كلما أمره أمية بالكفر ، ويشطاط عدى
الله غضبا ، فيقول له ، العبد المؤمن : إن أكن عصيتك فقد أطعت الله ،
عذب ماشئت فإنك تعذب جسدى ، أما روحى فلن تنال منها شيئا ! لله
درك يا بلال : لقد ضربت المثل الأعلى فى الصمود والثبات على المبدأ
الحق ، حتى جعل الله لك من الضيق فرجا ، وقد تقدم الصديق رضى
الله عنه فاشتراك وأعتقك ، وكنت صاحب المكانة المرموقة عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

عرفت بالصوت الندى فى الأذان حتى قال عنك رسول الله صلى
الله عليه وسلم إنك أندى صوتاً ، وكان لك الشرف العظيم أن تعلن
الأذان من فوق بيت الله الحرام ، يوم الفتح الأعظم ، حيث اشرأبت
الأعناق ، وقال بعض أهل مكة من نوى النفوس التى ملكها الكبير : ألم

يجد محمد غير هذا ليؤذن ؟ فرد عليهم القرآن الكريم فى صراحة ووضوح وحزم وعزم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » .

سرعت بديهته رضى الله عنه : لا ننسى نكاحك وسرعة بديهتك ، وحضور حجتك ، عندما سألك سائل ، فقال لك يا بلال : ابن من أنت ؟ فقلت على الفور : أنا ابن الذى أسجد الله له الملائكة . صدقت يا بلال ، فرسول الله يؤيدك كل التأييد ، إذ يقول : « كلكم لأدم ، وأدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى » .

ولا ينكر أحد مكانتك فى قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم : لقد غضب من أبى ذر الغفارى الصحابى الزاهد الورع ، عندما قال لك فى لحظة غضب : يا ابن السوداء ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك امتلاً غضباً وقال فى حدة وشدة : « يا أبا ذر : أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فىك جاهلية » .

وأخذت هذه الكلمات كل مأخذ ، وكأنها سهام بتارة ، جعلت أبا ذر رضى الله عنه يضع خده على الرمال ويقول : يا بلال طأ على خدى بقدميك .

إنه الأدب والخلق الذى تربي عليه أصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه : إذا أخطأوا أو ظلموا أنفسهم ، أو شعروا بانحراف فى النفس : استيقظت لواعج الوجدان ، فذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم .

أبعد كل هذا تجوز المقارنة بين عدالة الإسلام ونزاهته ونظافته وطهارته ، وبين ما يدور في العالم من شرور التفرقة العنصرية في أعظم الأمم حضارة في عصرنا هذا ؟ ! إذا لا تصح المقارنة بين شريعة الله وشريعة الغاب التي وضعها العبد وسولت له نفسه الأمانة بالسوء أن يحكم به عباد الله ، وحسبك يا أخى أن تعلم أن الإسلام يبني عزائم المؤمنين لإقامة الحق والعدل مع الصديق والعدو .. مع الفقير والغنى ، إن الإسلام يعد الناس جميعاً متساويين في الإنسانية ، لأنهم جميعاً صنعة إله واحد ، أبناء لأب واحد ، وهذه المساواة العامة الإنسانية تتحطم معها فوارق الجنس واللون والحسب والنسب ، وهي فوارق الانحراف البشري والظلام الإنساني . فوارق الجاهلية الضالة والهوى المتسلط والتعالى الكاذب والتمييز المصطنع .. وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد الذي جعل العبيد سادة (٢)

قال تعالى : « لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » صدق الله العظيم .

الإسلام هو الدين الذي حرر البشرية من الظلم ، وغمرها بعدله ، والإسلام هو الذي حرر المجتمع من الفساد وركز فيه سبل الإصلاح ، والإسلام هو الذي حرر العقل من الجمود والتقليد ، وأفسح أمامه المجالات للنظر والتفكير ، والإسلام هو الذي حرر العبيد من قيود النذل والاستبعاد ، وجعل منهم سادة أقوياء . وقد عرضنا في المرة السابقة نماذج لهؤلاء العبيد السادة بإسلامهم وإيمانهم واليوم نستكمل عرض بعض النماذج الأخرى :

❶ زيد بن حارثة :

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال في شأنه : « أنت مولاي ، ومنى ، وأحب القوم إلى » . خرجت أمه « سعدى بنت ثعلبة » معه تزور قومها « بنى معن » ، فأغارت خيل لبنى القيس بن جسر فمروا على أبيات « بنى معن » فاحتملوا زيدا - وقد كان يومئذ غلاماً يافعاً - ولم يعرف أبوه بعد شيئاً عنه . وكان موسم الحج قد أقبل ، فحج قوم من « كلب » وأمام أعينهم دائماً صورة هذا الرجل الباكي « حارثة بن شرحبيل ومضوا يطوفون بالببيت ، وهناك رأوا « زيدا » فعرفهم ، وعرفوه ، وأقبل عليهم ، وعلموا منه أن خاطفيه وافسوا به « سوق عكاظ » ،

فعرضوه للبيع ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، فلما تزوجها شريف قريش : محمد بن عبد وهبته له وانطلق (الكلبون) واعلموه أباه ، فخرج (حارثة) وأخوه (كعب) بفدائه وقدموا مكة فسلّوا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخلا عليه وقالوا : يا ابن عبد الله ! يا ابن عبد المطلب ! يا ابن هاشم ! يا ابن سيد قومه ! أنتم أهل الحرم وجيرانه ، وعند بيته تفكون العاني وتطعمون الأسير . جننا في ابننا ، قامتن علينا وأحسن إلينا في فدائه ، فإننا سندفع لك الفداء . فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « دعوه فخيروه فإن اختاركم ، فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني » .

فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : هل تعرف هؤلاء ؟ قال نعم . قال من هما ؟ قال زيد هذا أبى وهذا عمى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأنا من علمت ورأيت صحبتى لك ، فاخترنى أو اخترهما » . فقال زيد : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت منى بمكانة الأب والأم . فقالوا : ويحك يا زيد ! أختار العبودية على الحرية وعلى أهلك وعمك وأهل بيتك ؟ !

قال زيد : نعم ! إنى قد رأيت من الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحجر وقال : « يامن حضر ، اشهدوا أن زيدا ابنى : أرثه ويرثنى »

فلما رأى أبوه وعمه ذلك طابت أنفسهما وانصرفا ، ونزلت الرسالة على محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فكان زيد أول من آمن به من

الأرقاء ، ولم يفارق النبي صلوات الله وسلامه عليه لحظة ، فأحبه النبي حباً شديداً . وأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة لأصحابه . وهاجر زيد ، ونزل في المدينة على سعد بن خيثمة ، ولما هاجر الرسول الأعظم إلى « يثرب » وأخى بين المسلمين : كان حمزة سيد الشهداء وزيد أخوين في الله . ثم أخى النبي الأعظم بعد مقتل حمزة بينه وبين أسيد بن حضير .

وقامت المعارك بين المسلمين والمشركين ، وكان زيد من الرماة المذكورين ، فشهد بدماء وأحد واستخلفه الرسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى « المريسيع » ، وشهد « الخندق » و« الحديبية » و« حنيناً » .

وخرج « زيد » أميراً في سبع سرايا أولها « القردة » ، فاعترض لعير قريش فأصابها ، وأفلت أبو سفيان منهم وأسر زيد « فرات بن حيان العجلي » وقدم بالعير على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون .

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « ما بعث رسول الله زيد بن حارثة في جيش قط ، إلا أمره عليهم ، ولو بقى بعد لاستخلفه » . وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتروا الروم ، فجمع ثلاثة آلاف من المسلمين ، وعقد لزيد ، وقدمه على الأمراء الآخرين قائلاً : « عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب فعبد الله بن رواحة » . وتحرك الجيش الإسلامي بقيادة لواء الإسلام « زيد بن حارثة » أليس في هذا المعنى ما يعطى الدلالة الصادقة على أن رسول الله هو الذي جعل من العبيد سادة ، ومن المستضعفين

أساتذة وقادة ؟ هذا « زيد » يقود جيشاً فيه جعفر الطيار ، ابن عم رسول الله ، الشريف الكريم ، وفيه خالد بن الوليد ، وخالد هو سيف الله المسلول .

ومن بعد زيد : قائد أبنه « أسامة » الحملة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قادها إلى فلسطين ، وكان على رأس جيش فيه أبو بكر الصديق وعمر الخليفة فاروق هذه الأمة .. أى دلالة أعظم من هذه الدلالة ؟ وأى معنى أوضح من هذا المعنى ؟ إنه الإسلام الذى كرم البشرية ، وزكى النفوس ، وطهر القلوب !

سيدى أبا القاسم يارسول الله :

الدين والدنيا لنا جمعتهما
للك شريعة قدسية غراء
والمسلمون جميعهم جسد ، إذا
عضو شكى ، سهرت له الأعضاء

سار المسلمون ، وعلى رأسهم زيد ، حتى وصلوا إلى « مؤتة » ، وهناك علموا بتجمع جيوش الروم فى أكثر من مائة ألف ، وهم ثلاثة آلاف فقط ، وهناك تردد الناس قليلاً . ولكن ما لبث الأمير أن اندفع يقاتل الروم ، فما تلك الحياة بجانب تلك الغاية التى يريدونها ؟ ! وتناولته السيوف بالطعن ، وهو يقاتل دون راية رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وأخيراً : استشهد الأمير .

أيتها النفس الكبيرة ! لقد عرف النبى الأعظم حقيقتك ، فرفعك من رتبة العبودية إلى رتبة النبوة حيث قال : « زيد ابنى » ، ثم أمرك على المسلمين ، ثم رفعك مرة أخرى إلى رتبة الشهداء الصالحين وفى المدينة وقف النبى الله صلى الله عليه وسلم يقول : « استغفروا لزيد :

لقد دخل الجنة وهو يسعى » . ثم أتى أهله ، فجهشت بنت زيد بالبكاء ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتحب ، فقال له سعد بن عباد : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا سعد : هذا شوق الحبيب إلى الحبيب » .

يرحمك الله يا زيد بن حارثة ! يا من أثنى عليك رسول الله خيراً ، ويا من أنعم عليك الله بالإسلام وأنعم رسوله عليك بالعتق .. يا من ختم الله لك حياتك الكريمة بالموتة الكريمة فلقيته شهيداً وعشت في دار الكرامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر !

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

حقاً إن الوقائع تثبت والتاريخ يؤكد ، والحقائق تقرر أن الإسلام جاء والرق في هذه الدنيا كأنه بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فأخذ الإسلام يسلط أشعته الكاشفة الهادئة على تلك الظلمات فيبدلها بحكمة معروفة فيه .. كان علاجه لتلك المشكلة كالنسيم الهادئ الذي يدفع الشراع دون أن يفرق المركب ، أو كالنار الهادئة التي تقتل الجراثيم دون أن تحرق المريض .

لقد كانت الصيحة الأولى للإسلام هي تحرير الإنسان من رقة العبودية وإعلان كرامة الإنسان وتطهيره من ذل الخضوع لشيء أو لأحد غير الله .

سيدي أبا القاسم يا رسول الله .

داويت متثدأ ، وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء : الداء

إن المساواة في الإسلام تدعو إليها الفطرة العامة ويقضى بها
المصير المشترك ، ويتطلبها عدل السلوك وسلام الإنسانية . قامت في
الإسلام من أول أمره فالناس جميعاً أمام قانون الله سواء لا فرق بين
عظيم وحقير ، شريف ووضيع ، والنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه
يعلن في خطبته الجامعة : « أيها الناس : إن ربكم واحد . وإن أباكم
واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ، إلا بالتقوى ،
لكم لآدم ، وادم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

الهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى اله ومن اتبع هديه
بإحسان إلى يوم الدين .

محمد الذي جعل العبيد سادة (٣)

إن الإسلام العظيم يأبى التفرقة ويحاربها ، فالحق أساس هذا الدين ، والعدل سياجه والناس - مع اختلاف عقائدهم وألوانهم وأجناسهم . أمام عدله وحقه : سواء .

فالتفرقة في حقيقتها انتكاس بالإنسانية ، وتفويت لأسباب الرفع الحقيقية التي لا يمكن أبداً أن تتم لعبد يغفل عن حقيقة نفسه ومعرفة خالقه . فالخالق عز وجل أعلن على لسان رسوله الكريم « ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

إن هذا التكريم للإنسان وضعه الرسول صلوات الله وسلامه عليه منهجاً تطبيقياً تقتضيه وحدة المبدأ ووحدة المصير فخلق نماذج بشرية تفخر بها الإنسانية على مر العصور والأجيال ، عرضنا منها عدة نماذج في المقالات السابقة ونعرض هنا نموذج آخر لتلك القمم الشامخة التي انتقلت من مرحلة العبودية إلى مرحلة العزة والكرامة والسيادة بفضل الإسلام ورسول الإسلام الذي أرسله الله رحمة للعالمين .

❁ سلمان الفارسي :

ذلك الرجل الذي بحث عن الحقيقة العليا ، ونخل مخزون فكرة ، وقدح زناد رأيه في سبيل الوصول إلى الحق ، حتى يهدأ فؤاده وتقر نفسه .

نشأ بين قوم في بلاد الفرس ، يعبدون النار من دون الله ، وكان

أبوه قد جعله قائماً على شأن النار يغذيها بالوقود إذا ما أوشكت أن تضعف .. ودارت في نفسه وعقله أفكار وتساؤلات : هل يليق بالإله أن يكون محتاجاً إلى عبادة ؟ وماذا يحدث لو أنه أهمل هذه بالوقود ؟ لا بد أن تنطفى هذه النار .

وأخيراً .. ولى هارباً ، وهاجر من هذه البلاد يسمى وراء الحق ، ويطلب الحقيقة . ونزل على أحد الرهبان ، فدله الراهب على أن الحق في شريعة محمد خاتم الأنبياء . وولى سلمان وجهه شطر المدينة في قافلة متوجهة إلى هناك ، لكن أحد اليهود المقيمين ببشرى ادعى أنه قد اشتراه ، فصار « سلمان » عبداً مملوكاً لذلك اليهودي ، يقوم على خدمته ورعاية شئونه .

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة : أسرع سلمان ليختبر فيه الصفات التي أرشده إليها الراهب الذي التقى به في بلاد الشام ، من أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الصدقة ، ولكنه يقبل الهدية ، وأن خاتم النبوة دليل واضح على صدق دعواه ،

وتحققت هذه كلها في رسول الله أمام سلمان ، فأسلم ، وتعاون المسلمون على شرائه من اليهودي ، ثم أعاقوه ، فصار حراً وكل منهم يريد أن ينسبه إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : « سلمان منا آل البيت » .

وكان لسلمان موقفه التاريخي المجيد « يوم الخندق » عندما ادلهمت الخطوب ، واشتدت المحن ، وحوصرت المدينة . استشار الرسول أصحابه ، فأشار عليه سلمان بحفر الخندق . وصادف هذا الرأي قبولاً

مطلقاً فى نفوس المسلمين ، فحفر الخندق ، وكان فى حفره خير ويمن ،
لأن الحرب مكيدة وخدعة ، وقد صدق سلمان ما عاهد الله عليه . إننا لا
ننسى لسلمان هذا الموقف الإسلامى الجليل ، ولا ننسى له شدة تمسكه
وعمق تغلفه فى مفاهيم الإسلام .. قال له سائل : يا سلمان : من
أبوك ؟ .. فرد عليه بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : أنا ابن الإسلام !

ولما بلغ هذا الخبر أمير المؤمنين « عمر » بكى وقال ثلاث مرات : وأنا
ابن الإسلام ! أجل يا سلمان :

لعمرك : ما الإنسان إلا ابن دينه فلا تترك التقوى اتكالاً عل النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد حط بالشرك النسيب أبو لهب

كان سلمان رجلاً مجداً فى حياته ، لا يعرف الكسل .. كان يكتسب
لقمة عيشه بكد يمينه وعرق جبينه كان يأتى « بخوص » النخيل فيصنع
منه المكاتل ويبيعهها ، ويقسم الربح أقساماً ثلاثة : قسم يتصدق به على
الفقراء والمساكين ، وقسم ينفق منه على أهله ونفسه ، وقسم يعمل فيه
فى التجارة !

ولقد صدق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله
يرضى لرضى سلمان ويغضب لغضبه ، وإن الجنة لتشتاق إلى سلمان
أكثر من اشتياقه إليها » .

رحمك الله يا سلمان ، جزاك عن الإسلام خيراً ، يا من قال عنك
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا ، آل البيت » . هنيئاً
لك ، ثم هنيئاً لك بهذا الشرف الذى رفعك إليه سيد الأنبياء والمرسلين ،
صلوات الله وسلامه عليه .

❖ وخلاصة القول :

هذه نماذج كريمة لقوم جعل منهم الإسلام سادة وقادة . لقد حاول الملأ من قريش أن يصرفوا نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء المستضعفين ، وقالوا له بلسان الكبرياء والصلف : إن أردتنا أن نؤمن بك ، فاطرد هؤلاء الصعاليك من حولك ! والله يشهد إنهم لكاذبون ، وأن قلوبهم قدران عليها الجبروت والعناد .

فماذا كان جواب الإسلام على اقترائهم ؟

لقد أنزل الله قوله تعالى : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم باغداة والعشى يريدون وجهه . ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين » .

ورد الله أيضاً على هؤلاء المتكبرين بقوله عز وجل :

« واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » .

بل لقد كرمهم القرآن الكريم تكريماً بونه كل تكريم حيث قال تعالى : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ، فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

وكان سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه إذا لقيهم يقول : « مرحباً بمن أوصاني ربي بهم خيراً » ويبسط لهم رداءه ، ويخفض لهم جناحه .

أبعد كل هذا تجوز المقارنة بين عدالة الإسلام ونزاهته ونظافته
وطهارته ، وبين ما يدور في العالم من شرور التفرقة العنصرية في أعظم
الأمم حضارة في عصرنا هذا ؟ ! إذ لا تصح المقارنة بين شريعة الله
وشريعة الغاب التي وضعها العبد ، وسولت له نفسه الأمانة بالسوء أن
يحكم بها عباد الله .. شتان ، ثم شتان بين عدل الخالق جل شأنه وبين
ظلم المخلوق .

وحسبك يا أخى أن تعلم أن الإسلام يبني عزائم المؤمنين لإقامة
الحق والعدل مع الصديق والعدو .. مع الفقير والغنى « يا أيها الذين
آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ، وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ
تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » . فالحق
أساس هذا الدين ، والعدل سياجه ، والناس - مع اختلاف عقائدهم
وألوانهم وأجناسهم - أمام عدله وحقه سواء .

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين
إن يقدر العبد أن يعطيك خردلة إلا بإذن الذي سواك من طين
فلا تصاحب غنياً تستسعر به وكن عفيفاً ، وعظم حرمة الدين
واسترزق الله مما في خزائنه فإن رزقك بين الكاف والسنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،
ذلك الرسول الذي بعثته بقولك الحق « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في
البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلاً » .

اليوم الحق (١)

« ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً »
صدق الله العظيم

❦ من مشاهد يوم القيامة :

قال تعالى وهو أصدق القائلين : « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

فى هذا المشهد القرآنى ينادى الله تعالى على البشرية أمرا إياهم بالتقوى تجنباً لعذاب يوم شديد تتزلزل فيه القلوب والأبصار من هول ما ترى وتسمع .

وقد فسر الإمام على كرم الله وجهه التقوى : بأنها الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

لقد وقف رضى الله عنه بين المقابر ذات يوم فقال : « السلام عليكم يا أهل المقابر أنتم السابقون وأنا إن شاء الله بكم لاحقون . أنتم فرطنا إلى الجنة ونحن لكم تبع ونسأل الله لنا ولكم العافية . يا أهل القبور أما أموالكم فقد قسمت ، وأما بيوتكم فقد سكنت ، وأما نساؤكم فقد تزوجن غيركم . هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟ ثم أنصت قليلاً والتفت إلى أصحابه وقال : أما والله لو شاء الله لهم أن يتكلموا لقالوا : إن خير الزاد التقوى » .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى تفسير مشاهد يوم القيامة
أحاديث كثيرة :

- فقد روى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« أتدرون أى يوم ذاك ؟ ذاك يوم ينادى آدم عليه السلام قيناديه ربه
عز وجل فيقول : يا آدم ابعث بعثك إلى النار ، فيقول يارب وما بعث
النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فى النار وواحد
فى الجنة قال فأبلس أصحابه » . فلما رأى ذلك قال « أبشروا واعملوا
فو الذى نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شىء قط إلا
كثر تاه » (يأجوج ومأجوج ومن هلك من بنى آدم وبنى إبليس) .

- وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن حاتم بن أبى صقيرة ، حدثنا ابن
أبى مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « إنكم تحشرون إلى الله يوم القيامة حفاة عراة غرلا
قالت عائشة : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟
قال : « يا عائشة إن الأمر أشد من أن يهتم ذاك » .

- وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن اسحاق ، حدثنا ابن لهيعة عن
خالد بن أبى عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : قلت
يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال « يا عائشة أما
عند ثلاث فلا ، أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا ، وأما عند
تطاير الكتب ، إما يعطى بيمينه وإما يعطى بشماله فلا ، وحين يخرج
عنق من النار فيطوى عليهم ويتغيط عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت
بثلاثة ، وكلت بثلاثة ، وكلت بثلاثة . وكلت بمن ادعى مع الله إلها
آخر ، وكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، وكلت بكل جبار عنيد . قال

فينطوى عليهم ويرميهم فى غمرات جهنم ، واجهنم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف ، عليه كلاليب وحسك « شكوك » يأخذان من شاء الله ، والناس عليه كالبرق وكالطرف وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، والملائكة يقولون : يارب سلم ، سلم . فناج مسلم ، ومخبوش مسلم ، ومكور فى النار على وجهه .

وهكذا فإن معنى قوله تعالى « إن زلزلة الساعة شئ عظيم » أى أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق فظيع ، وحادث هائل وكائن عجيب .

ثم ينقلنا الحق تبارك وتعالى إلى مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة فيقول عز من قائل :

« إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » والمراد بزلزال الساعة ما يحدث للنفوس من فزع وكرب شديد . قال جل جلاله : (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتبهت أنفسهم خالون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) .

— ومعنى قوله جل شأنه (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أى يشتغل كل حميم عن حميمه . ويفر كل صديق من صديقه . حتى إن الأم تلقى ولدها فتقول له يابنى لقد كان بطنى لك وعاء ، وكان ثدىي لك سقاء ، وكان حجرى لك وطاءً . وانت تعلم ما بى ، أمعك حسنة

يعود على خيرها اليوم ؟ فيقول ابنها : ليتنى يا أماه أستطيع ذلك ،
إننى أشكو مما منه تشكين . ويلقى الوالد ولده فيقول له ولده يا أبت
لقد كنت بك براً ، وإليك محسناً ، وعليك مشفقاً ، فهل أجد عندك
حسنة يعود على خيرها اليوم ؟ فيقول له والده : يا بني ليتنى أستطيع
ذلك ، إننى أشكو مما منه تشكو . وهذا معنى قوله جل شأنه « ولا
تزد وزداً وزد أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء
ولو كان ذا قربى » .

- وفى قوله تعالى (وتضع كل ذات حمل حملها) معنى بلاغى معجز ،
فإن الحامل لا تضع حملها قبل تمام مدته . إلا إذا أصيبت بفزع
شديد ، وطلع عنيف . وهل هناك بعد زلزلة الساعة فزع أعنف أو
طلع أشد ؟ إنها كناية من أطف الكنايات وعبارة تتبوأ مكانتها فى أعلى
طبقات البلاغة .

- قال تعالى (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) وذلك لما أصابهم
من الدهشة والشرود لهول ما يرون .

- يوم تكون السماء كألhel . وتكون الجبال كالعهن . ولا يسأل حميم
حميماً . يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ،
وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التى تؤويه . ومن فى الأرض جميعاً ثم
ينجيهِ . كذا إنها لظى . نزاعة للشوى . تدعو من أدبر وتولى . وجمع
فأوعى .

ألا يكفى أن يكون هذا المشهد جديراً بأن تذهل المراضع عن
أرضعن ، وأن تضع الحوامل حملهن قبل تمام مدته ، وأن يصير
الناس فى سكرة وحيرة ، العقول شاردة ، والألباب فى دهشة ،

والأقنعة قد بلغت الحناجر .

- « فإذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة » .

إنهم سكارى من شدة سارأوا من خطوب وأهوال ، وما هم بسكارى من شراب تعاطوه أو كنوس مترعة تجرعوها ، ولكن عذاب الله شديد .

- « وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى . يقول يا ليتنى قدمت لحياتى . فيومئذ لا يعذب عذابه أحد . ولا يوثق وثاقه أحد » .

إن هذه الآية الكريمة لو نزلت على جبل لخر لها الجبل هدأ ، إنها تتخلع من هولها القلوب وتشيب من جلالها الولدان .

- « إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة » .

وهكذا فإن مشاهد يوم القيامة تتوالى تباعا فى القرآن فى إشارات صريحة واضحة تصور أهوال يوم القيامة ، ويكفى أن نعلم أن الذى أخبر عنها هو الله العظيم حيث يصف زلزلتها العظيمة ، وذهول كل مرضعة عما أرضعت رغم أنه لا يوجد هناك صلة أقوى من صلة الأم برضيعها ولا عاطفة ورحة تفوق عاطفتها نحوه .

هل هناك هول أشد من ذلك الهول الذى يؤدى أن تطرح فيه
الأرحام أجنحتها وتلفظها من القرار المكين لفظ النوى ؟

وهل هناك تعبير عن الحيرة أقوى من السكرنة نتيجة عذاب الله
الشديد ، إن فى كلمة العذاب والشدة ما تقف أمامه النفس خاشعة
لجلال ربها ، متواضعة لكبريائه . إن كلمة العذاب فى حد نفسها كلمة
عصيبة وخطيرة ، فإذا ما أخبر عنها العزيز الجبار بالشدة بلغت أى
مكان من الهول والخطب الجسيم .

اللهم إنا نسألك النجاة من النار ونسألك الفوز بالجنة ونعيمها .

فما هو طريق النجاة ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه فى المرة
القادمة بعون الله ومشينته ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم .

اليوم الحق (٢)

« ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً »
صدق الله العظيم

❦ ما النجاة ؟

تكلّمنا فى المقال السابق عن مشاهد من أهوال يوم القيامة .
واليوم نجيب على السؤال الذى طرحناه آنفاً وهو كيف النجاة من تلك
المواقف التى تجعل الولدان شيباً ! وتنفطر لها القلوب وتنزع من هولها
الأفئدة ؟

ويأتى الجواب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما
سأله عقبة بن عامر رضى الله عنه وهو يقول : ما النجاة يا رسول الله ؟
قال له : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك » أما
إمساك اللسان فعن اللغو ، والرفث ، والكلام الفاحش ، وعن كل ما حرم
الله من الغيبة والنميمة وشهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات .

وهنا نسأل : فما البديل عن كل هذا ؟ . . ونجد الإجابة فى قوله
صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند
مليكم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ،
وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قلنا
: بلى قال : ذكر الله » .

ما أروعك يا رسول الله عندما تتكلم بجوامع الكلم فترفعنا إلى

أعلى درجات البلاغة وما أروع ما قيل فيك :

فما عرّف البلاغة نوبيان إذا لم يتخذك له كتاباً

كلمة موجزة ، أجاب بها الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا العرض العظيم من الخيرات والأجر والدرجة والفضل هذه الكلمة هي ذكر الله . ومعنى الذكر استحضار عظمة الله تعالى في قلب المؤمن « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

نعم تطمئن لرحمته ومغفرته وعطفه . فذكر الله نواء وشفاء . وذكر الناس أسقام وداء . . . وهل طابت الدنيا إلا بذكره ؟ وهل طابت الآخرة إلا بعفوه ؟ وهل طابت الجنة إلا برؤيته ؟

« إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورضى كريم » .

وجلّت قلوبهم تعظيماً لمهابة الله ، وتوقيراً لجلاله وكماله وجماله . فالذكر في القلب طمأنينة لرحمته وعفوه . وهو أيضاً خوف وإجلال لعظمته ومهابته ، فإذا ما أمسك الإنسان لسانه عن اللغو فإنه يشغل بذكر الله . والذكر كما قالوا على سبعة أنحاء : ذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الإصغاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر الروح الخوف والرجاء ، وذكر القلب التسليم والرضا .

فإذا ما وسع الإنسان بيته فقد أصبح بعيدا عن مواطن الشبهة ومجالس الريبة وأماكن الفسق . ومن وضع نفسه موضع الريبة والشبهة فلا يلومن من أساء الظن به . . إذا ما وسع الإنسان بيته كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في إرشاده « ليسعك بيتك » فإنه يكون في بيته كالمصباح المضيء بين أولاده بعيدا عن كل ما يلهي ويشغل ، ويصبح بيته من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

وتأتي الفقرة الثالثة « وابك على خطيئتك » : وهل يبكي الإنسان على خطيئته إلا إذا كان قلبه مليئا بخير وتوبة ؟ وهل يصل الإنسان إلى هذه الدرجة إلا إذا استحضر عظمة الله في قلبه :

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) .

إذن فمدار الأمر كله ، وطريق النجاة يدور حول ذكر الله ويرتكز عليه ، فهو قطب الرحي ، ومناط الاستنباط ، وحجر الزاوية ، ومحور الارتكاز ومركز الدائرة . ومن ثم فإنه لا بأس أن تسجل هنا حشدا من فوائد الذكر التي نص عليها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه :

- عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما . قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم يذكرون الله . إلا خفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة . وذكرهم الله فيمن عنده » (أخرجه مسلم في كتاب الذكر) (والترمذي في كتاب الدعاء) .

- عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى : « من شغله قراءة القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » . (أخرجه الترمذى) .

- عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الرب يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم ، فقيل : ومن أهل الكرم يارسول الله ؟ قال : أهل مجالس الذكر فى المساجد » (رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والبيهقى وابن حبان فى صحيحه) .

- عن معاوية رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده ، فقال : أتانى جبريل وأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة . (أخرجه مسلم) .

- عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم متاد من السماء : قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات » . (أخرجه أحمد) .

- وعن ثابت قال : كان سلمان فى عصابة (جماعة) يذكرون الله ، فمر النبي صلى الله عليه وسلم فكفوا فقال : ما كنتم تقولون ؟ قلنا نذكر الله . قال : إني رأيت الرحمة تنزل فأحببت أن أشارككم فيها . ثم قال : الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت « أن أصير نفسى

معهم » . (أخرجهم الإمام أحمد والحاكم وصححه) .

فوائد الذكر كما ذكرها العلامة ابن القيم : قال رضى الله عنه فى
فوائد الذكر : وفى الذكر أكثر من مائة فائدة :

الأولى : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

الثانية : أنه يرضى الرحمن عز وجل .

الثالثة : أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

الرابعة : أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

الخامسة : أنه ينور الوجه والقلب .

السادسة : أنه يقوى القلب والبدن .

السابعة : أنه يجلب الرزق .

الثامنة : أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

التاسعة : أنه يورث المحبة التى هى روح الإسلام وقطب رضى
الدين ، ومدار السعادة والنجاة ، وقد جعل الله لكل شىء
سببا ، وجعل سبب المحبة نوافذ الذكر ، فمن أراد أن ينال
محبة الله تعالى فليهلج بذكره ، فالذكر باب المحبة
وشعارها الأعظم وصراطها الأقوم .

العاشرة : أنه يورث المراقبة حتى يدخله فى باب الإحسان ، فيعبد الله
كأنه يراه ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ،
كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

الحادية عشرة : أنه يورث الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ،
فمن أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه
إليه في كل أحواله ، فيبقى الله عز وجل مفرعه
وملجأه وملأه ومعاضه . وقبلة قلبه ، ومهربه عند
النوازل والبلايا .

الثانية عشرة : أنه يورث القرب منه ، فعلى قدر ذكره لله عز وجل
يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده .

الثالثة عشرة : أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة ، وكلما أكثر
من الذكر ازداد من المعرفة .

وإلى حديث قادم إن شاء الله نستكمل فيه فوائد الذكر للنجاة من
أهوال يوم القيامة ندعو الله أن يوفقنا إلى محبته ورضاه وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اليوم الحق (٣)

« ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً »
صدق الله العظيم

⊙ البعث حق :

« يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئاً ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور . »

لما ذكر الله تعالى أن هناك فريقاً من الناس يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، عقب ذلك بذكر الأدلة على البعث بعد الموت حتى يقطع الجدل الذى تلوكه ألسنة المكابرين الجاحدين فقال (يا أيها الناس) وهذا نداء للبشرية جمعاء . (إن كنتم فى ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب) . ثم بعد ذكر هذه الآية الواضحة البينة ذكر خمس نتائج أنتجتها الآية :

الأولى : ذلك بأن الله هو الحق .

الثانية : وأنه يحيى الموتى .

الثالثة : وأنه على كل شئ قدير .

- الرابعة : وأن الساعة آتية لا ريب فيها .
- الخامسة : وأن الله يبعث من فى القبور .

⊙ أدلة البعث :

من يقرأ أية البعث يجدها قد اشتملت على نموذجين من الأدلة :

الأول : قياس الإعادة على البدء وذلك فى قوله تعالى (فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيئا) .

الثانى : قياس البعث على نبات الأرض فإن بين الإنسان وبين النبات صلة قوية . قال تعالى (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) .

وصفوة القول أن الله الذى بلغت قدرته شأواً لا حدود له ، والذى خلق الإنسان من العدم ، قادر على أن يعيده بعد أن تتفرق أجزأؤه ويفنى جسده وهذا قياس الأولى أى قياس الأدنى على الأعلى . فالذى أوجد من العدم قادر بالأولى على أن يعيد بعد الإيجاد .

ثم إذا انتقلنا إلى النموذج الثانى من الأدلة وهو القياس على النبات ، وجدنا أن الأرض الميتة الهامدة الساكنة سرعان ما ينزل عليها الماء فتحي بالنبات وما النبات والإنسان إلا كائنات حية تشترك فى صفات كثيرة وأطوار عدة .

⊗ أدلة أخرى :

وقد حشد القرآن الكريم آيات بينات لهذه المعركة التي دارت رحاها بين العقيدة المؤمنة والأخرى الجاحدة ، وكلها تدور حول قضية البعث ، وهذه الأدلة آيات ناطقات بعظمة الله ، وجلال إبداعه في كونه ، ويعد حشد الأدلة يذكر البعث ويقرره . من ذلك قوله تعالى في سورة الرعد : (المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون . الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون . وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا . ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين . يغشى الليل والنهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون . وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

بعد حشد هذه الأدلة البينة يعرض القرآن لقضية البعث فيقول (وإن تعجب فعجب قولهم إذا كنا ترابا أننا لفي خلق جديد . أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

وكأنني بالقرآن الكريم يلقي باللائمة علي هؤلاء الذين اتضح أمامهم الأدلة المنصوية في عالم السماء والأرض كيف يسألون هذا السؤال العجيب وهم يعلمون علم اليقين أن الآيات على قدرة الله تحيط بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم كيف يسألون

هذا السؤال وهم يعتقدون أن الذي أخبر بالبعث بعد الموت هو الذي نصب الآيات في الأفاق والأنفس ؟ .

ومن هنا فقد حكم على هؤلاء الجاحدين بثلاثة أشياء : (أولئك الذين كفروا بربهم ، وأولئك الأغلال في أعناقهم ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

نعم إن إنكار البعث كفر بالله لأنه تكذيب بأخبار الله في القرآن . واستمع إلي قول هذا الرجل الذي قص القرآن قصته مع صاحبه وهو يحاوره ، والذي جاء في سورة الكهف (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . كلما أتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا . وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه . قال ما أظن أن تبديد هذه أبدا . وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا) .

فماذا قال له صاحبه ردا على قوله (وما أظن الساعة قائمة) ؟

« قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا » .

فحكم عليه بالكفر لإنكاره البعث « لكن هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا » .

إن لنا في آيات سورة الرعد عجبا عندما نتأملها ونتأمل القدرة الفائقة . عندئذ لا يمكن أن يكون للشك سبيل في قلوب نوى البصائر :

« الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش
وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات
لعلكم بلقاء ربكم توقنون » .

لقد صدقت ياسيدي يا رسول الله عندما نصحت أبا ذر رضى الله
عنه قائلا : « جدد السفينة فإن البحر عميق ، وأكثر الزاد فإن السفر
طويل ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير وخفف الحمل فإن العقبة
كثود » ولا يسعنا بعد تلك النصيحة إلا أن نعى بقلوبنا ومقولنا تلك
الكلمات النورانية التى أنزلها الله لنا فى قرآنه الكريم تنبيها وتحذيرا من
اليوم الحق حيث قال جل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر
نفس ما قدمت لعد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » ولا تكونوا
كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوى
أصحاب النار وأصحاب الجنة . أصحاب الجنة هم الفائزون » .

فاللهم إنا نسألك وتتوجه اليك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ،
ونور صدورنا وجلاء همنا وذهاب حزننا ، وأن تقرب بيننا وبين الجنة
وتباعد بيننا وبين النار وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اليوم الحق (٤)

« ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً »
صدق الله العظيم

⊙ البعث حق :

إن قضية البعث في القرآن جاءت مقترنة بتوحيد الله والإيمان به من ذلك قوله تبارك وتعالى (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقوله جل شأنه : (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً) . . إلى غير ذلك من الآيات .

ولأهمية البعث نرى أن الله تبارك وتعالى يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالقسم في ثلاثة مواضع - وكلها في البعث :

- قال تعالى : (ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إني وديي إنه لحق وما أنتم بمعجزين) .

- ويقول تعالى : (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وديي أتأتينكم عالم الغيب لا يعبئ عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين) .

- وقال جل جلاله : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وديي لبعثن ثم لنتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير) .

من هنا نعلم أن الله تبارك وتعالى أكد هذه القضية توكيداً لا يحتمل أي لبس ولا غموض . إن الله جل جلاله ينبه أصحاب الأذهان الغافلة والقلوب الجاحدة إلى ماردده المنكرون من قبل فيقول :
ول :

(وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت . بلى وعدا عليه
حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه ويعلم
الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون) .

❦ القرآن والبعث :

وإذا كان القرآن الكريم قد تناول هذه القضية فى أعلى طبقات
البلاغة والقوة ، فإنه يعرض للبعث فى أساليب غاية فى الجلال والجمال
والعظمة . وقد عرضنا مشهدا

- فى سورة الرعد حيث قدم القرآن الأدلة القاطعة على قدرة الله فى
العالم العلوى والأرضى ، ثم عقب على ذلك بقضية البعث ، وألقى
باللائمة على منكريها وجاحديها .

قال تعالى : (وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي
خلق جديد) .

-- وفى سورة ق يعرض القرآن للقضية ، ثم بعد ذلك يقيم الأدلة على
القدرة الفائقة التى لا يقف أمامها شيء . قال سبحانه : (ق والقرآن
المجيد . بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء
عجيب . أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجوع بعيد) .

يرد القرآن على هذه الدعوة ردا حاسما فيقول تعالى (قد علمنا
ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ . بل كذبوا بالحق لما جاءهم
فهم فى أمر مريج) .

ثم يقيم الأدلة الباهرة فيقول سبحانه (أفلم ينظرون إلى السماء
فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من قروج . والأرض مددناها وألقينا
فيها رواسب وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد
منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد .
والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتة كذلك
الخروج) .

فأنت ترى في هذا المشهد القرآني من سورة ق كيف سجل القرآن
العظيم كلام المنكرين الجاحدين الذين ظنوا أن الرجوع والإعادة والإحياء
بعد الموت بعيد فأقام القرآن من الأدلة ما يثبت أن الإعادة أهون من
البدء ، وأن الإيجاد بعد الفناء أيسر من الخلق من العدم .

(أفلم ينظرون إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من
قروج) . ثم يسأل القرآن : (أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها . رفع
سمكها ففساها . وأغطش ليلها وأخرج ضحاها . والأرض بعد ذلك
دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها) .

ثم يجيب على هذا السؤال في روعة وجلال (لخلق السماوات
والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

ثم يبين أن الذين لا يعرفون هذا قوم أصيبوا بعمى القلوب وطمس
البصيرة . فيقول سبحانه : (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلاً ما تتذكرون) .

ثم يخلص من هذا إلى نتيجة تقرر أن البعث حق لا ريب فيه ، على
الرغم من جحود الجاحدين فيقول جل جلاله : (إن الساعة لأتية لا ريب

فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) . وبعد أن يقيم القرآن أدلة القدرة الفائقة من رفع السماء وبسط الأرض : (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسب وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً) .

بعد ذلك يقيس البعث على هذه الآيات المشاهدة أمام العين التي لا ينكرها عاقل ولا يجحدها من رزق أدنى علم فيقول سبحانه في كلمة موجزة المبني عظيمة المعنى وهي (كذلك الخروج) أي الخروج من القبر بعد الموت يوم البعث مثل ذلك . فكما أن الذي سبق ذكره واقع ومشاهد فالبعث مثله ، وكما أنكم لا تنكرون آيات الله في كونه من سمائه إلى أرضه ، ومن عرشه إلى فرشه ، فإن العدل والمنطق يقتضيان منكم ألا تنكروا البعث بعد الموت ، إذ أن الذي أخبر عنه هو الله المحيي المميت ، المبدئ المعيد ، الضار النافع ، الخافض الرافع ، القابض الباسط ، الواجد الماجد ، الواحد القهار ، الملك القدوس ، السلام المؤمن ، المهيمن العزيز ، الجبار المتكبر ، الخالق البريء ، المصور العزيز ، الحكم العدل ، الرزاق ذو القوة المتين ، الذي إذا أراد قضى المراد ، إذا حكم فلا معقب لحكمه ، وإذا قضى فلا راد لقضائه .

وفي سورة النبأ وهو البعث ، يصدر القرآن هذه السورة الكريمة بسؤال ثم يجيب عنه ، ويعرض بعد ذلك الأدلة على القدرة الفائقة ، ثم يعقب بالنتيجة كل هذا في سلك فريد ، وعقد تنظيم يأخذ بالألباب ، ويدهش العقول لعظمته . اقرأ قول الله جل جلاله : (عما يتساءلون عن النبأ العظيم . الذي هم فيه مختلفون . كلا سيعلمون . ثم كلا

سيعلمون . ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا .
وجعلنا نومكم سباتا . وجعل الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبينا
فوقكم سبعة سدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء
ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا) .

ثم يخلص إلى النتيجة بعد ذلك في جلاء ووضوح فيقول سبحانه :
(إن يوم الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) .

كل هذا يدور في فلك السورة الكريمة التي تعرض للقضية في
جلاء ووضوح وقوة وحزم (إن يوم الفصل كان ميقاتا) .

ويؤكد هذا المعنى في قوله (إن هؤلاء ليقولون . إن هي الا موتتنا
الأولى وما نحن بمنشرين . فأتوا ببائنا إن كنتم صادقين) .

ويرد القرآن علي هذا الإنكار فيقول : (أهم خير أم قوم تبع والذين
من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين . وما خلقنا السماوات والأرض
وما بينهما لا عيين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون . إن
يوم الفصل ميقاتهم أجمعين . يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم
ينصرون . إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم) .

أخا الإسلام : هلا أكثرت من الزاد لطول السفر ؟

أرض تدك بالجبال وسماء تتشق وتنطر ، وجنة تنادى على أحبائها
وجحيم تسعر لأعداء الله . فاستعدوا لأهوال القيامة يا أولى العقول
والألباب واجعلوا نصب أعينكم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه

كالمستهزئ بربه ، ومن أذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل » .

وفي الحديث : « الندم توبة » . وقد سئل الحسن البصري رضي الله عنه عن التوبة النصوح فقال : هي الفرع بالقلب ، والاستغفار باللسان ، والترك بالجوارح ، والإضمار على أن لا يعود .

أخا الإسلام :

ماقى الحىاة بقاء	ماقى الحىاة ثبوت
نبى البىوت وحتما	تنهار تلك البىوت
تمسوت كل البرايا	سبحان من لا يموت

أدعو الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(والحديث بقية) . .

اليوم الحق (٥)

« ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً »
صدق الله العظيم

❦ جدد السفينة فإن البحر عميق :

يحسن بنا ونحن أمام الوعد الحق ، والبعث بعد الموت ، أن نسلك
بك أيها القارئ إلى طريق النجاة . فماذا أعددت من زاد ليوم المعاد ؟

صم عن الدنيا ، وأفطر علي الموت ، وأعد الزاد الليلة صباحها يوم
القيامة ، وخير الزاد التقوى ، وما كان عليه سيد الأتقياء محمد صلى
الله عليه وسلم من الخلق الكريم والقلب الرحيم . اسمع هذه الوصايا
الغوالي ، وإلى تلك النصائح العوالي .

— عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «
ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب
إليه مما سواه ، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا الله ، ومن يكره أن يعود
في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » .

— عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه : أن يكون الله ورسوله
أحب إليه مما سواه ، وأن يحب في الله ويبغض في الله ، وأن توقد
نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئا » (رواه
البخارى ومسلم والترمذى والنسائى) .

— وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » . (رواه مسلم) .

- وعنه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » . (رواه البخاري ومسلم وغيرهما) .

- عن أبي مسلم قال : قلت لمعاذ : والله إني لأحبك لغير دنيا أرجوا أن أصيبها منك ، ولا قرابة بيني وبينك . قال : فلا شيء ؟ قلت : الله . قال : فجذب حبوتي ثم قال : أبشر إن كنت صادقاً ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله - يغطهم بمكانهم النبيون والشهداء » .

- قال : ولقيت عبادة بن الصامت فحدثته بحديث معاذ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن ربه تبارك وتعالى : « حققت محبتي على المتحابين في ، وحققت محبتي على المتناصحين في ، وحققت محبتي على المتبازلين في ، هم على منابر من نور ، يغطهم النبيون والشهداء والصديقون » . (رواه ابن حبان في صحيحه) .

- وعن أبي مالك الأشعرى رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز

وجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ، فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس ، وألوى بيده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله أنعتهم لنا ، جلهم لنا - يعنى صفهم لنا - فسر وجه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الأعرابي وقال : هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله ، وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسون عليها ، فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا ، يفرز الناس يوم القيامة ولا يفرزعون ، وهم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . (رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد حسن) .

- وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن فى الجنة لعمداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد ، لها أبواب مفتحة ، تضىء كما يضىء الكوكب الدرى . قال : قلنا يا رسول الله : من يسكنها ؟ قال : المتحابون فى الله والمتباعدون فى الله والمتلاقون فى الله » . (رواه النجار) .

- وروى عن معاذ بن أنس رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الإيمان ؟ قال : « أن تحب الله ، وتبغض الله ، وتعمل لسانك فى ذكر الله . قال : وماذا يا رسول الله ؟ قال : وأن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك » (رواه أحمد) .

- وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : من أعطى الله ، ومنع الله ، وأحب لله وأبغض لله ، وأنكح الله ، فقد استكمل إيمانه " رواه أحمد والترمذي .

- وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أى عرى الإسلام أوثق ؟ قالوا : الصلاة . قال : حسنة وما هى بها . قالوا : صيام رمضان . قال : حسن وما هو به . قالوا : الجهاد . قال : حسن وما هو به . قال : إن أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله ، وتبغض فى الله » (رواه أحمد والبيهقى) .

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « متى الساعة ؟ قال : وما أعددت لها ؟ قال : لا شيء إلا أنى أحب الله ورسوله . قال : أنت مع من أحببت . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم » . (رواه البخارى ومسلم) .

- وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لاتصاحب إلا مؤمنا ، ولا يسأكل طعامك إلا تقى » (رواه ابن حبان فى صحيحه) .

- وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة أحلف عليهن . لا يجعل الله من له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له ، وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة والصوم والزكاة . ولا يتولى الله عبدا فى الدنيا فيؤليه غيره يوم القيامة ، ولا يحب الرجل

قوما إلا جعله الله معهم » . (الحديث رواه أحمد بإسناد جيد) .

❁ ثمرات الحب في الله :

- يتنوق حلاوة الإيمان فيسرى بجسمه النور المحمدي ويتغذى بلبان الاسلام فيحيا حياة السعداء .

- يحيطه الله برحمته ويقيه عاديات شدائد يوم القيامة .

- يجلب له الأمن والسرور ويعد في مصاف السبعة الذين يظلهم برضوانه وإحسانه .

- شجرة إيمانه مزرقة مزهرة مباركة كاملة .

- دليل على زيادة محبة الله ورسوله .

- برهان القبول وعنوان التوفيق .

- زيادة درجات في الجنة بجوار منازل الأبرار .

- قلوبهم مطمئنة آمنة من الأهوال تتلأأ وجوههم نورا وسرورا .

- عروة الإيمان الوثقى من تمسك بها نجا .

- بشائر الأعمال الصالحة الموصلة إلى قبول الله المشوية بالإخلاص لله الدالة على الهداية والنجاح .

- يحشر مع الصالحين .

- سلوك حسن وصحبة نافعة وسيرة طيبة ونية صالحة وعيشة سعيدة .

- له نصيب في الخير وسهم في الأجر .

- يدل على كمال الدين وصفاء السريرة والعمل المتقن وخوف الله ورعاية جانيه واحترام كتابه ، وحب سنة حبيبه صلى الله عليه وسلم .
- لا يتسرب الى من يحب لله الإشراف بالله لأنه يأمن عواقب أعماله ، ويضمن إخلاصه ، ويسلم من شوائب الإلحاد .

اللهم اجعلنا ممن يحبون الله ويبغضون في الله واجمعنا في ذلك اليوم الحق مع رسولك الكريم الذي أحببتاه وآله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحديث بقية .

اليوم الحق (٦)

« ذلك اليوم الحق ، فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً »
صدق الله العظيم

❦ أكثر من الزاد فإن السفر طويل :

نعم إن السفر طويل ، فصم عن الدنيا ومعاصيها ، وأفطر على الموت ، وأعدد الزاد لليلة صباحها يوم القيامة . ما أطول السفر ، لأنه في عالم البرزخ . وما وراء البرزخ ، أعنف من أن يمخر عيابه سبحانه ماهر . أسمع معنى إلى تصوير الحق جل وعلا لهذا اليوم . (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة . وإنشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية . يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فإما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه . إني ظننت أني ملائق حسابية . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية . وإما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابي . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك سلطانيه خنوه فخلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم ها هنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون) .

صدقك يا رب العزة . وبلغ رسولك .

أخا الإسلام :

أعد قراءة هذا المشهد مرة فلإن يصور لك بكل دقة مدى طول السفر ، ويشرح لك بتفصيل ما سوف يجرى علينا ونحن في عالم البرزخ : أرض تدك بالجبال وسماء تنشق وتنفطر ، وجنة تنادى على أحبائها ، وجحيم تسعر لأعداء الله .

فأستعدوا لأحوال القيامة بأ أولى العقول والألباب ، وأنشدوا :

مثل لقلبك أيها المفسرور	يوم القيامة والسماء يمور
قد كورت شمس النهار وضعت	حرا على رأس العباد تقور
وإذا الجبال تعلقت بأصـولها	فرأيتها مثل السحاب تسير
وإذا النجوم تساقطت وتتأثرت	وتبدلت بعد الضياء كنور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها	خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أحضرت	وتقول للأملك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا	وعجائبا قد أحضرت وأمور
وإذا الجنين بسأمة متعلق	خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهـوله	كيف المقيم على الذنوب دهور

أخا الإسلام :

هلا أكثر من الزاد لطول السفر ؟ أولم تسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالستهزىء بربه ، ومن أذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل » ؟

وقد سئل الحسن البصري رضى الله عنه عن التوبة النصوح

فقال : هي الفراغ بالقلب والأستغفار باللسان ، والترك بالجوارح ، والإضمار على أن لا يعود .

وسمع سيدنا على ، رضى الله عنه أعرابيا يقول : اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة الكاذبين . فقال : وما التوبة ؟ قال : إن التوبة يجمعها ستة أشياء : على الماضي من الذنوب الندامة ، والفرائض الإعادة ، يعنى القضاء ، ورد المظالم ، واستحلال الخصوم ، وأن تعزم على أن لاتعود ، وأن تذيب نفسك فى طاعة الله كما رببتها فى معصيته ، وأن تذيبها مرارة الطاعة كما أنقتها حلوة المعاصي .

والتوبة بصفاتها المذكورة هي المنجية لصاحبيها من العقاب . يشهد اذلك قوله عليه الصلاة والسلام فيما أخرجه ابن عساكر عن أنس : « إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقي الله تعالى وليس عليه من الله شاهد بذنب » .

مسا فى الحياة بقاء	مسا فى الحياة ثبوت
نبنى البيوت وحتما	تنهار تلك البيوت
تموت كل البريا	سبحان من لا يموت

دخل أبو حازم على سليمان بن عبد الملك حين ولى الخلافة فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم آخرتكم ، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب . قال : فأخبرنى كيف القدوم على الله ؟ فقال يا أمير المؤمنين ، أما المحسن فيقدم على الله كالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الأبق لسيدة ، يأتى مولاه خائفا حزينا .

قال : فأى الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض واجتناب المحارم ،
قال : فأى الدعاء أفضل ؟ قال : دعاء الملهوف لمن أحسن إليه ، قال :
فأى الصدقة أوفى ؟ قال : أن لاتعلم يسراه ما أنفقت يمينه ، قال : فأى
القول أفضل ؟ قال : كلمة حق عند من يخاف ، قال : فأى الناس
أعدل ؟ قال : من عمل بطاعة الله ودل الناس عليها ، قال : أى الناس
أجهل ؟ قال : من باع آخرته بديناره ، قال : عظمى وأوجز ، قال : نزه
ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك .

فبكى الأمير ، فقال رجل من جلسائه : أبكيت أمير المؤمنين
أو أحزننته ، فقال : قد أخذ الله الميثاق على الأنبياء لتبيينه للناس
ولاتكتمونه ، ثم خرج فبعث إليه بحلى فردده وقال : لا أرضاه لكم فكيف
أخذه منكم ؟

من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم لزاد يوم القيامة :

- من وصايا رسول الله عليه وسلم ما ورد عن أنس رضى الله عنه
قال : أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى : « أسبغ
الوضوء يزد فى عمرك ، وسلم على من لقيت تكثر حسناتك ، وإذا
دخلت على أهل بيتك فسلم بكثير خير بيتك ، وصل صلاة الضحى
فإنها صلاة الأوابين قبلك ، وارحم الصغير ، ووقر الكبير ، تكن من
رفقائى يوم القيامة .

- ومن وصايا رسول الله عليه وسلم لأبى زر : « أحكم السفينة فإن
البحر عميق ، واستكثر الزاد فإن السفر طويل ، وخفف ظهرك فإن
العقبة كنود ، وأخلص العمل فإن الناقد بصير » .

- ومن وصايا صلى الله عليه وسلم ماورد عن أبي نر رضى الله عنه أيضا قال : « أوصانى خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع لم أتركهن ولا أتركهن : أوصانى بحب المساكين والدينو منهم ، وأن أنظر إلى من هو أسفل منى ولا أنظر إلى من هو فوقى ، وأن أصل رحمى ، وأن أدبرت وقطعت ، وأن أستكثر من قول لا إله إلا الله فإنها كنز من كنوز الجنة ، وأن لأسأل الناس شيئا ، وأن لا أخاف فى الله لومة لائم ، وأن أقول الحق وإن كان مرأا » .

- ومن وصايا ماورد عن أبي هريرة قال : « علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لأدعهن حتى أموت : لا أنام إلا على وضوء ، وأن أصوم من كل شهر ثلاث أيام وأن لا أدع صلاة الضحى » .

- ومن وصايا صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة : « إن أردت اللحق بى فليكيفك من الدينا كزاد الراكب ، وإياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخفى ثوبا حتى ترقعيه » .

- ومن وصايا صلى الله عليه وسلم ما روى عن معاذ بن جبل . قال : قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار . قال : لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا . وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل . ثم تلا . (تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ « يعلمون ») .

ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد .

ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه ، وقال : كف عليك هذا . قلت يا رسول الله . وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أوقال : على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » .

إن وصاياه صلى الله عليه وسلم ونصائحه لا تحيط بها الدواوين ولا تستقيها أقلام الكتّابين . أدعو الله أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه صلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أخلص العمل فإن الناقد بصير

كتب الإمام الغزالي رضى الله عنه إلى الشيخ أبى الفتح بن سلامة :

قرع سمعى أنك تلتمس منى كلاما وجيزا فى معرض النصيح والوعظ . وإنى لست أرى نفسى أهلا له ، فإن الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ؟ وفاقد النور كيف يستنير به غيره ؟ ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ؟ وقد أوصى الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستح منى » .

وقال بعض العارفين : من علم فليعمل ، ومن جهل فليسال ، فالיום عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ، والعلم إمام والعمل تابعة ، ومن لم يحسن على الجادة ولا سلك بنفسه سبيل الاستقامة كيف ينصح سواء ويعظ غيره ؟ وإن نصيح أو وعظ لا تنفع موعظته ولا تقبل نصيحته . فقلما ينتفع بوعظ الواعظ ، ونصح الناصح إذا لم يكن متصفا بنفسه بالصفات الجيدة المرضية التى ندب الشارع إليها وحصن عليها ، فالموعظة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب .

وقد علق الشارع الوعيد الشديد على من أمر بالمعروف ولم يفعله ، وأنهى عن المنكر وفعله . ومن صفاته عليه الصلاة والسلام أن كان لا يأمر بشيئ إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيئ إلا كان أول تارك له . قال تعالى : « أتأمرون الناس بالكبر وتنسون أنفسكم ؟ » وروى أنها نزلت

فى اليهود كانوا يحضون على الصدقة ويخلون ، وفى الآية وعيد شديد لمن اتصف بصفاتهم وفعل مثل فعلهم ثم إتبعها سبحانه وتعالى بتوبيخ عظيم وتشنيع ذميم فقال (أفلا تعقلون ؟) والمعنى : أفلا تفتنون لقبيح ما ارتبكتم وشنيع ما تعاطيتم ؟ كأنه جعلهم مسلوبى العقول لأن العقل يأبى هذا .

وقال البزار عن أبى برزة إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الذى يعلم الخير للناس وينسى نفسه ، مثل الفتيلة تضيئ على الناس وتحرق نفسها » .

وقال عليه الصلاة والسلام « من أراد أن ينصب نفسه إماما فعليه بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومؤدب نفسه ومعلمها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم » .

وقد حكى أن رجلا كان يجلس قريبا من محمد بن واسع ، فسمعه ابن واسع يوما يعظ أصحابه ويوبخهم وهو يقول « مالى أرى القلوب لا تخشع ؟ ومالى أرى العيون لا تدمع ، والجلود لا تقشعر ؟ » .

فقال له ابن واسع : يا عبد الله ما أرى القوم أتو إلا من قبلك إن الذكر إذا خرج من القلب استقر فى القلب .

وقيل لحمدون القصار : ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ قال : لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس وطلب الدنيا ، وقبول الخلق .

❁ كلمة حق خالدة :

قال الله تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فاسعى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .

ويقول عز من قائل : (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) .

ويقول تبارك اسمه : (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً) .

ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اثنان إذا صلحا صلحت الأمة ، وإذا فسدا فسدت الإمة : العلماء والأمراء » .

وما هو ذا التاريخ المجيد ، تاريخ الإسلام الخالد ، يحدثنا عن رجل من رجالات الأمر بالمعروف الذين إذا قالوا فإنما يضعون أرواحهم على أكفهم رخيصة في أسواق الشهادة وهذا الرجل لم يقف التاريخ على اسمه ولكنه دخل التاريخ من أشرف أبوابه وأوسعها . وما أكثر هؤلاء الجنود المجاهدين الذين وقفوا المواقف الجليلة الجديرة بأن تسجل بحروف الذهب على صفحات النور .. ولندع الحقائق تكلمنا ، ولنصغ إلى صوتها في خشوع وأدب :

روى أن عبد الملك ابن مروان خطب يوما ، فلما انتهى إلى موضوع الوعظ فأحسن كل الإحسان إليه قام رجل من الحاضرين فقال : إنكم أيها الملوك تأمرون ولا تأنصرون ، وتنهون ولا تنتهون ، أفنقتدى بسيرتكم في أنفسكم ؟ أم نطيع أمركم بألسنتكم ؟ فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا في

فى أنفسمكم ؟ أم نطيع أمركم بالسنتكم ؟ فإن قلتم اقتتلوا بسيرتنا فى أنفسنا فأنى ؟ وكيف ؟ وأين المصير من الله ؟ وما الحجة غدا بين يديه ؟ وإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نصيحتنا ، فكيف ينصح من يغش نفسه وإن قلتم خنوا الحكمة حيث وجدتموها ، واقبلوا الموعظة ممن سمعتموها ، فعلام قلدنا أزمة أمورنا وحكمنا كم فى دماننا وأموالنا ؟

الصدق فى القول والإخلاص فى العمل :

إذا ذكر اسم سفيان الثوري تدانت المعاني الجليلة والخصال النبيلة إلى ذهن ذاكراه . فاسم سفيان مقارن للزهد والورع ، والإخلاص والتقوى والنقاء . أليس هو الرجل الذى ملأ طباق الأرض علما وزهداً ؟ أليس هو القوام الصوم الذى رآه أحدكم فى المنام بعد موته فقال له كيف حالك يا أبا سعيد ، فأنشد سعيد قائلا :

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رضائي عنك صنعك يا ابن سعيد
لقد كنت قوماً إذا أظلم الدجى بمهجة مشستاق وقلسب عسميد
فدونك فاختر أى قصر أردته وزرنسى فإنسى منك غير بعيد

بماذا حدثنا التاريخ عن هذا الإمام الجليل ؟ وماذا حدث له وهو يخطب المسلمين ذات يوم ؟

استمع يا أخى بأذن قلبك . لقد روى أن سفيان الثوري رحمه الله ، كان يعظ الناس ويشوقهم إلى الله تعالى ويرغبهم فى ثوابه ويحذرهم من عقابه . وكان الناس يتوافدون عليه . فصعد يوما منبره على عادته ، فلما استقر به الجلوس وأراد أن يتكلم ، رفعت إليه امرأة رقعة ، فلما رآها تغير لونه وبكى بكاء شديدا ثم نزل ولم يتكلم . فسأله أصحابه أن

أن يخبرهم بما فى الرقعة فقال مكتوب فيها :

يا أيها الرجل المــــــــــــــــعلم غيــــــــره

هلا لنفسك كان ذا التــــــــــــــــعلم ؟

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى

كيف يصبح به وأنت سقيم

وبذاك تصلح بالرشاد عقولنا

أبدأ وأنت من الرشاد عديم

فأبدأ بنفسك وانها عن غيرها

فإذا انتهت عنه فأنت تحكيم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله

عار عليك إذا فــــــــــــــــعلت عظيم

فلما قرأ ذلك بكى بكاء شديدا حتى أغمى عليه ، فلما أفاق ، قالوا

له يا سيدى لربه كلامك موزون ، وعرضك مصون تشفى القلوب بوعظك

، وتسلى المخزون فكيف يؤثر فى قلبك هذا الكلام ؟ وأنت إمام وأى

إمام !! فبكى وقال : أنا ما أصلح أن أتكلم على رؤوس الناس ، فأنا

أعرف بنفسي من غيرى ثم فاضت عيناه واشتغل بوجده وجداه ، وما عاد

أحد بعد ذلك اليوم يسمعه أو يراه حتى مات رحمه الله .

ولله در القائل فى هذا المعنى :

حتى يعـــــــــــــــــلمها قلبه أولا

مواعظ الواعظ لن تقــــــــــــــــبل

خالف ما قد قــــــــــــــــاله فى الملا

يا قوم من أظلم من واعــــــــظ

وخالف الرحمن لما خــــــــــــــــلا

أظهر للعــــــــــــــــالم إحسانه

يرحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى اتخذ
له شعارا خالدا يقول فيه : رحم الله امرأأ أهدى إلى عيوبى .

صدقته يا فاروق هذه الأمة ، فإن صديقك هو من يصدقك ، لا من
يصدقك وإن صديقك هو الذى يبصرك بعينك .

هكذا كانت دعوتهم تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، لأنها شجرة
طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . إنها شجرة الإخلاص . وقد أخبر
الله تعالى عن جزاء المخلصين فقال : (إلا الذين تابوا وأصلحوا
واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله
المؤمنين أجراً عظيماً) .

اللهم إنا نعوذ بك من قلب لا يخشع ، وعمل لا يرفع ، ونفس لا
تشبع ، ودعاء لا يسمع فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم .

خاتمة نسأل الله حسنهما

أحمدك اللهم على حلمك بعد عملك وعلى عفوك بعد قدرتك . أنت صاحب العزة القائمة والمملكة الدائمة . قطرة من فيض جودك تملأ الأرض رياً ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر وإيا . شعاع من رضاك يطفئ غضب ملوك أهل الأرض . ولمحة من غضبك تزهر الروح ولو انغمست في نعيم الدنيا . العز كل العز في طاعتك . والذل كل الذل في مخالفة أمرك . . يقول الفاروق رضي الله عنه : « لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزه في غيره اذلنا الله » .

يا أخا الإسلام :

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عريانياً ولو كان كاسياً
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصياً

« فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » . اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين هديه بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً . والحمد لله على ذلك .

المحتويات

- ١ - على مائدة الثقافة الإسلامية
- ٢ - الغنى فى القناعة (١)
- ١٠ - الغنى فى القناعة (٢)
- ١٧ - الغنى فى القناعة (٣)
- ٢٥ - طاغية السلطان
- ٢٢ - كذلك العذاب
- ٤١ - المال والنفس
- ٥٥ - عضلات بالغة
- ٦٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٧١ - كرامات الأولياء
- ٩٠ - شريعة العدل والرحمة
- ٩٧ - نماذج من أفذاذ الرجال
- ١٠٣ - نماذج من أفذاذ النساء
- ١٠٧ - محمد الذى جعل العبيد سادة (١)

- محمد الذي جعل العبيد سادة (٢) ١١٣
- محمد الذي جعل العبيد سادة (٣) ١١٩
- اليوم الحق (١) ١٢٥
- اليوم الحق (٢) ١٣١
- اليوم الحق (٣) ١٣٧
- اليوم الحق (٤) ١٤٢
- اليوم الحق (٥) ١٤٨
- اليوم الحق (٦) ١٥٥
- أخلص العمل فإن الناقد بصير ١٦١
- خاتمة نسأل الله حسننها ١٦٧

حقوق النشر

علم مائدة الثقافة الإسلامية

رقم الإيداع ١١٥٧٨ / ١٩٩٥

I . S . B N

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

www.kishk.fr

To: www.al-mostafa.com